

قال عليه الصلاة والسلام　إن للإسلام صُوى « ومناراً » كمنار الطريق

٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٥٣ برج الاسد سنة ١٣١٢ هش ٧ اغسطس سنة ١٩٣٤



علاوات لتفسير قصة نوح عليه السلام

العلاوة الأولى ، البلاغة الفنية في الآية ٤٣

سبق لنا أن قلنا في الكلام على إعجاز القرآن ببلاغته ومذهب المتكلمين وأدباء الفنون في التحدي به : إن هذا النوع من الاعجاز يقلُّ من يفقهه في هذا العصر لفقد أهله ملكتي البلاغة الذوقية السليقية والبيانية الفنية بله الجمع بينهما ، وهو ضروري لإدراك هذا النوع من الاعجاز ، وإن من يفقهه ويدرك عدم استطاعة أحد أن يأتي بسورة مثله قد يخفى عليه وجه دلالته على أنه لابد أن يكون وحيا من الله تعالى وحجة على نبوة محمد ﷺ ولذلك جزموا بوقوع المعجز واختلفوا في وجه الدلالة ، فمثلهم كمثل حذاق الفنانين في الوشي والتطريز إذا رأوا صنع

قدماء الهنود من أهل لاهور وكشمير وأقروا بالعجز عن محاكاته ، أو المصورين إذا رأوا أدق صور وتماثيل في تصوير الانسان بأدق مناظر أعضائه وشمائله وملامح صفاته النفسية وامارات انفعالاته ولا سيما المتقاربة كالخوف والفزع والحزن والغم والغضب ونظر الاقرار ونظر الانكار ونظر الشهوة ونظر العطف والرحمة ونظر الاعجاب والعجب ونظر التفكر والتحير ، فقد يقرون بعجزهم عن محاكاتها ولكنهم لايقولون بعدم إمكانها ، بل يقولون بامكانها وبقرب وقوعها بالفعل إذا وجدت الداعية القوية كغنيمة مالية كبيرة أو مصلحة قومية أو دولية عظيمة

ومن المعلوم من تاريخ النبي ﷺ مع فصحاء قريش وغيرهم أنه حدثت لهم أعظم الدواعي والمصالح لمعارضة القرآن بعد تحديهم بسورة مثله مطلقا والتحدي بعشر سور في المكرر ولو مفترى ، فأيقنوا بعجزهم عن الاتيان بها وبهن ، ولو ظاهرهم عليه جميع الانس على كثرة بلغائهم وفصحائهم ، والجن الذين يعتقدون أن منهم هواجس تلقنهم الشعر من حيث لا يرونهم ، وكذا آلهتهم القادرون بخصائصهم الغيبية أو بمكانتهم عند الله تعالى على كل ما يريدون في هذا العالم بزعمهم ، قد عجزوا مع هذا كله واضطروا إلى مقاومة النبي بالقتال ، وما أعقبهم من خسارة المال ، وسبي النساء والاطفال ، ثم ما هو أشد عليهم وهو احتمال القتل والثكل ، وروي أن كبراءهم عزموا على التعاون على المعارضة واستعدوا لها فسمعوا هذه الآية (وقيل يا أرض) فضاءلت قواهم واستخذت أنفسهم ورجعوا عن عزمهم ، كما يأتي قريبا

عرف بلغاء قريش من بلاغة هذه الآية الروحية الكامنة في فصاحتها اللفظية الظاهرة وغيرها ما لم يعرفه بلغاء الفنون بعدهم منها ، فكان هؤلاء أعلم بما للحسن والجمال الصوري في الكلام من المقاييس الفلسفية والموازين الفنية ودرجات الراجح على المرجوح . وكان أولئك أدق شعورا بما لهذا الحسن والجمال من السلطان على القلوب والحكم على العقول . مثل ذلك ان لجمال البدن في حسان النساء مقاييس وموازين لتناسب الاعضاء بعضها مع بعض يمكن ضبطها ، والعدل في الحكم بينها . وأما الجمال المعنوي وهو خفة الروح وسلطان التأثير في القلوب ،

فليس له مقياس ولا ميزان عشري يضبط به وزنه أو مساحته فيعرف الراجح من المرجوح ، وإنما يعرف هذا الجمال الاعلى بملكة نفسية ، لا بأوزان صناعية ، كما قال أبو الطيب في الخيل : —

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها   وأعضائها فالحسن عنك مغيب[1]

وإنما أحدث القرآن في الامة العربية ما أحدث من الثورة الدينية والاجتماعية والانقلاب العالمي بالنوع الثاني من ادراك بلاغته لا الاول ، وكل منها كامل في بابه ، كما بينا ذلك في موضعه من عهد قريب ، وان كثرة البحث في الثاني ليشغل المفسر والمتدبر عن الاول الخاص منه بالهداية وإصلاح النفس وتزكيتها ، ولهذا نقتصر منه في تفسيرنا على ما قصر فيه المفسرون باختصار لا يشغل عن الهداية المقصودة بالذات ، وقد نجعله من باب الاستطراد بعد بيان معنى الآية أو الآيات ، ولهذا جعلت ما أحببت بيانه في بلاغة هذه الآية الفنية علاوة من هذه العلاوات ، وقد أطال العلماء الاعجاميون فيها حتى أفردها بعضهم بمصنفات خاصة ، وتكلم صاحب (الطراز في علوم الاعجاز) عليها في ٣٥ صفحة ولعله أحسنهم فيها كلاما ، وان كان السكاكي هو السابق اليه ، وكلهم فيه عيال عليه ، وذكر بعض المفسرين جملا مختصرة أو وسطا منه أنقل منها هنا ما لخصه السيد الآلوسي في روح المعاني من كلام السكاكي وغيره بتصرف كعادته قال :

« واعلم أن هذه الآية الكريمة قد بلغت من مراتب الاعجاز أقاصيها ، واستذلت مصاقع العرب فسفعت بنواصيها ، وجمعت من المحاسن ما يضيق عنه نطاق البيان ، وكانت من مهري البلاغة مكان السنان

« يروى أن كفار قريش قصدوا أن يعارضوا القرآن فعكفوا على لباب البر ولحوم الضأن وسلاف الخمر أربعين يوما لتصفو أذهانهم ، فلما أخذوا فيما قصدوه وسمعوا هذه الآية قال بعضهم لبعض : هذا الكلام لا يشبه كلام المخلوقين »

---

(١) الشيات جمع شية بالكسر من الوشي وهو التزيين (كعدة وعدات) وهي في الخيل وغيرها من الحيوان اللون المخالف للونها الاصلي كالسواد في البياض وعكسه

فتركوا ما أخذوا فيه وتفرقوا . ويروى أيضاً أن ابن المقفع وكان - كما في القاموس - فصيحاً بليغاً ، بل قيل إنه أفصح أهل وقته - رام أن يعارض القرآن فنظم كلاماً وجعله مفصلا وسماه سوراً ، فاجتاز يوماً بصبي يقرؤها في مكتب[1] فرجع ومحا ما عمل ، وقال أشهد أن هذا لا يعارض أبداً وما هو من كلام البشر . ولا يخفى ان هذا لا يستدعي أن لا يكون سائر آيات القرآن العظيم معجزاً لما أن حد الاعجاز هو المرتبة التي يعجز البشر عن الاتيان بمثلها ولا تدخل في قدرته قطعاً وهي تشتمل على شيئين : الاول الطرف الأعلى من البلاغة أعني ما ينتهي اليه البلاغة ولا يتصور تجاوزها إياه ، والثاني ما يقرب من ذلك الطرف أعني المراتب العلية التي تتقاصر القوى البشرية عنها أيضا

« ومعنى إعجاز آيات الكتاب المجيد بأسرها هو كونها مما تتقاصر القوى البشرية عن الاتيان بمثلها سواء كانت من القسم الاول أو الثاني فلا يضر تفاوتها في البلاغة ، وهو الذي قاله علماء هذا الشأن[2] »

« وقد فصل بعض مزايا هذه الآية المهرة المتقنون ، وتركوا من ذلك ما لا يكاد يصفه الواصفون ، ولا [illegible] ونذكر الفاضل غافل ، فنقول :

جهات بلاغة الآية الأربع ، أولها جهة علم البيان

ذكر العلامة السكاكي ان النظر فيها من أربع جهات : من جهة علم البيان ، ومن جهة علم المعاني وهما مرجعا البلاغة ، ومن جهة الفصاحة المعنوية ، ومن جهة الفصاحة اللفظية : أما النظر فيها من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بذلك من القرينة والترشيح والتعريض ، فهو أنه عز سلطانه لما أراد أن يبين معنى : أردنا أن نرد ما انفجر من الارض إلى بطنها فارتد ، وأن نقطع طوفان السماء فانقطع ، وأن نغيض الماء النازل من السماء فغاض ، وأن نقضي أمر نوح عليه السلام وهو إنجاز ما كنا وعدناه من إغراق قومه فقضي ، وأن نسوي

(١) لعله سمعه يرتلها بصوت مؤثر نبهه لما كان غافلا عنه من روعتها
(٢) بينا مسألة التفاوت في البلاغة قريبا بما هو خير من هذا

السفينة على الجودي فاستوت ، وأبقيا الظلمة غرق — بنى سبحانه الكلام على تشبيه المراد منه بالمأمور الذي لا يتأتى منه لكمال هيبته من الآمر العصيان ، وتشبيه تكوين المراد بالأمر الجزم النافذ في تكون المقصود تصويراً لاقتداره سبحانه العظيم ، وان هذه الأجرام العظيمة من السموات والارض تابعة لارادته تعالى إيجاداً وإعداماً ولمشيئته فيها تغييراً وتبديلاً ، كأنها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته ، وأحاطوا علماً بوجوب الانقياد لامره ، والاذعان لحكمه ، وتحتم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده ، وتصوروا مزيد اقتداره ، فعظمت مهابته في نفوسهم ، وضربت سرادقها في أفنية ضمائرهم ، فكما يلوح لهم إشارته سبحانه كان المشار إليه مقدماً ، وكما يرد عليهم أمره تعالى شأنه كان المأمور به ممتثلاً لا تأتي لاشارته بغير الامضاء والانقياد ولا لأمره بغير الاذعان والامتثال

ثم بنى على مجموع التشبيهين نظم الكلام فقال جل وعلا (قيل) على سبيل المجاز عن الارادة من باب ذكر السبب وارادة المسبب لأن الارادة تكون سبباً لوقوع القول في الجملة ، وجعل قرينة هذا المجاز خطاب الجماد وهو (يا أرض — ويا سماء) إذ يصح أن يراد حصول شيء متعلق بالجماد ولا يصح القول له ، ثم قال سبحانه كما ترى (يا أرض ، ويا سماء) مخاطباً لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور . والظاهر أنه أراد أن هناك استعارة بالكناية حيث ذكر المشبه أعني السماء والارض المراد منهما حصول أمر وأريد المشبه به أعني المأمور الموصوف بأنه لا يتأتى منه العصيان ادعاء بقرينة نسبة الخطاب إليه ، ودخول حرف النداء عليه ، وهما من خواص المأمور المطيع ويكون هذا تخييلاً . وقد يقال اراد ان الاستعارة ههنا تصريحية تبعية في حرف النداء بناء على تشبيه تعلق الارادة بالمراد منه بتعلق النداء والخطاب بالمنادى المخاطب ، وليس بشيء ، إذ لا يحسن هذا التشبيه ابتداء بل تبعاً للتشبيه الاول فكيف يجعل اصلاً لمتبوعه ؟ على ان قوله للشبه المذكور يدفع هذا الحمل

ثم استعار لغئور الماء في الارض [البلع] الذي هو إعمال الجاذبة في المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب إلى مقر خفي . وفي الكشاف : جعل البلع مستعاراً لنشف الارض الماء وهو اولى فان النشف دال على جذب من اجزاء الارض لما عليها كالبلع

بالنسبة إلى الحيوان ، ولان النشف فعل الارض والغور فعل الماء مع الطباق بين الفعلين تعفياً . ثم استعار الماء للغذاء استعارة بالكناية تشبيهاً له بالغذاء لتقوي الارض بالماء في الانبات للزروع والاشجار تقوّي الآكل بالطعام وجعل قرينة الاستعارة لفظة (ابلعي) لكونها موضوعة للاستعمال في الغذاء دون الماء .

« ولا يخفى عليك(١) انه إذا اعتبر مذهب السلف في الاستعارة يكون (ابلعي) استعارة تصريحية ومع ذلك يكون بحسب اللفظ قرينة للاستعارة بالكناية في الماء على حد ما قالوا في (ينقضون عهد الله) وأما إذا اعتبر مذهبه فينبغي ان يكون البلع باقياً على حقيقته كالانبات في : أنبت الربيع البقل . وهو بعيد ، او يجعل مستعاراً لامر متوهم كما في : نطقت الحال فيلزمه القول بالاستعارة التبعية كما هو المشهور

« ثم انه تعالى أمر على سبيل الاستعارة للتشبيه الثاني وخاطب في الامر ترشيحا لاستعارة النداء ، والحاصل ان في لفظ (ابلعي) باعتبار جوهره استعارة لغور الماء وباعتبار صورته أعني كونه صورة أمر استعارة أخرى لتكون المراد وباعتبار كونه أمر خطاب [illegible] الاستعارة المكنية التي [illegible] الذي هو قرينتها النداء وما زاد على قرينة المكنية يكون ترشيحا لها . وأما جعل النداء استعارة تصريحية تبعية حتى يكون خطاب الآمر ترشيحا لها فقد عرفت ما فيه

« ثم قال جل وعلا (ماءك) باضافة الماء إلى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالارض باتصال الملك بالمالك ، واختار ضمير الخطاب لاجل الترشيح وحاصله ان هناك مجازاً لغويا في الهيئة الاضافية الدالة على الاختصاص الملكي ، ولهذا جعل الخطاب ترشيحاً لهذه الاستعارة من حيث أن الخطاب يدل على صلوح الارض للمالكية ، فما قيل ان المجاز عقلي والعبارة مصروفة عن الظاهر ليس بشيء ،

« ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان من المطر أو الفعل ، ففي (أقلعي) استعارة باعتبار جوهره وكذا باعتبار صيغته

---

(١) قوله ولا يخفى عليك الخ من كلام الآلوسي لا من كلام السكاكي وهو بحث في الخلاف بين مذهبه أي السكاكي و بين مذهب السلف في الاسناد في المثل المذكور ، وهذا المزج في الكلام من عادة الآلوسي

أيضاً وهي مبنية على تشبيه تكوين المراد بالامر الجزم النافذ ، والخطاب فيه أيضاً ترشيح لاستعارة النداء ، والحاصل ان الكلام فيه مثل ما مرّ في (ابلعي)

« ثم قال سبحانه (وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً) فلم يصرح جل وعلا بمن غاض الماء ولا بمن قضى الامر وسوى السفينة وقال « بعداً » كما لم يصرح سبحانه بقائل (ياأرض ـ وياسماء) في صدر الآية سلوكا في كل واحد من ذلك سبيل الكناية لان تلك الامور العظام لاتصدر إلا من ذي قدرة لايكتنه ، قهار لايغالب ، فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون غيره جلت عظمته قائلا (ياأرض ـ وياسماء) ولا غائض ماغاض ، ولاقاضي مثل ذلك الامر الهائل ، أو أن يكون تسوية السفينة واقرارها بتسوية غيره

« والحاصل ان الفعل اذا تعين الفاعل بعينه استتبع ذلك أن يترك ذكره ويبنى الفعل لمفعوله أو يذكر ماهو أثر لذلك الفعل على صيغة المبني للفاعل ويسند إلى ذلك المفعول فيكون كناية عن تخصيص الصفة التي هي الفعل بموصوفها ، وهذا أولى مما قيل في تقرير الكناية هنا من ان ترك ذكر الفاعل وبناء الفعل للمفعول من لوازم العلم بالفاعل وتعينه لما أنه ملائم للفعل فذكر اللازم وأريد اللزوم لما ان (استوت) غير مبني للمفعول ـ كقيل ـ وغيض

« ثم انه تعالى ختم الكلام بالتعريض تنبيهاً لسالكي مسلك أولئك القوم في تكذيب الرسل عليهم السلام ظلماً لأنفسهم لاغير ختم اظهار لمكان السخط ولجهة استحقاقهم إياه ، وان قيامة الطوفان وتلك الصورة الهائلة ماكانت إلا لظلمهم كما يؤذن بذلك الدعاء بالهلاك بعد هلاكهم ، والوصف بالظلم مع تعليق الحكم به ، وذكر بعضهم أن البعد في الاصل ضد القرب وهو باعتبار المكان ويكون في المحسوس ، وقد يقال في المعقول نحو (ضلوا ضلالا بعيداً) واستعماله في الهلاك مجاز

« قال ناصر الدين : يقال بعد بعداً بضم فسكون وبعداً بالتحريك اذا بعد بعداً بعيداً بحيث لايرجى عوده ، ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء ، ولم يفرق في القاموس بين صيغتي الفعل في المعنيين حيث قال : البعد معروف والموت وفعلهما ككرم وفرح بعداً وبعداً فافهم

« وزعم بعضهم ان الارض والسماء أعطيتا ما يعقلان به الامر فقيل لها حقيقة ما قيل ، وان القائل (بعداً) نوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين، ولا يخفى ان هذا خلاف الظاهر، ولا أثر فيه يعول عليه والكلام على الاول أبلغ

بلاغة الآية من جهة علم المعاني

« وأما النظر فيها من جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها، فذلك انه اختير (يا) دون سائر أخواتها لكونها أكثر في الاستعمال، وانها دالة على بعد المنادى الذي يستدعيه مقام اظهار العظمة وابداء شأن العزة والجبروت، وهو تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به ولم يقل يا أرضي بالكسر لان الاضافة إلى نفسه جل شأنه تقتضي تشريفاً للارض وتكريماً لها فترك امداداً للتهاون ، ولم يقل يا أيتها الارض مع كثرته في نداء أسماء الاجناس قصداً إلى الاختصار والاحتراز عن تكلف التنبيه المشعر بالغفلة التي لا تناسب ذلك المقام، واختير لفظ الارض والسماء على سائر أسمائهما كالمقلة والغبراء، وكالمظلة والخضراء لكونهما أخصر وأورد في الاستعمال وأوفق بالمطابقة فان تقابلهما انما اشتهر بهذين الاسمين، واختير لفظ (ابلعي) على ابتلعي لكونه أخصر وأوفر تجانساً بأقلعي لان همزة الوصل ان اعتبرت تساويا في عدد الحروف وإلا تقاربا فيه بخلاف ابتلعي ، وقيل (ماءك) بالافراد دون الجمع لما فيه من صورة الاستكثار التأبي عنها مقام اظهار الكبرياء وهو الوجه في افراد الارض والسماء ، وإنما لم يقل (ابلعي) بدون المفعول لئلا يستلزم تركه ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وساكنات الماء بأسرهن نظراً إلى مقام عظمة الآمر المهيب » وكمال انقياد المأمور .

« ولما علم ان المراد بلع الماء وحده علم ان المقصود بالاقلاع امساك السماء عن إرسال الماء فلم يذكر متعلق (أقلعي) اختصاراً واحترازاً عن الحشو المستغنى عنه وهذا هو السبب في ترك ذكر حصول المأمور به بعد الامر فلم يقل: قيل يا أرض ابلعي فبلعت ، ويا سماء أقلعي فأقلعت، لان مقام الكبرياء وكمال الانقياد يغني عن

ذكره الذي ربما أوهم امكان المخالفة ، واختير (غيض) على غيض المشدد لكونه أخصر ، وقيل (الماء) دون ماء طوفان السماء ، وكذ (الامر) دون أمر نوح وهو ايجاز ماوجد لقصد الاختصار والاستغناء بحرف التعريف عن ذلك لانه إما بدل من المضاف اليه كما هو مذهب الكوفية ، وإما لانه يغني غناء الاضافة في الاشارة إلى المعهود

«واختير (استوت) على سويت أي أقرت مع كونه أنسب بأخواته المبنية للمفعول اعتباراً لكون الفعل المقابل للاستقرار أعني الجريان منسوبا إلى السفينة على صيغة المبني للفاعل في قوله تعالى (وهي تجري بهم) مع أن (استوت) أخصر من سويت ،

واختير المصدر أعني (بعداً) على ليبعد القوم طلباً لتأكيد معنى الفعل بالمصدر مع الاختصار في العبارة وهو نزول (بعداً) وحده منزلة: ليبعدوا بعداً مع فائدة أخرى هي الدلالة على استحقاق الهلاك بذكر اللام وإطلاق الظلم عن مقيداته في مقام المبالغة يفيد تناول كل نوع حتى يدخل فيه ظلمهم على أنفسهم بزيادة التنبيه على فظاعة سوء اختيارهم في التكذيب من حيث أن تكذيبهم الرسل ظلم على أنفسهم لان ضرره يعود اليهم

«هذا من حيث النظر إلى تركيب الكلم ، وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل فذلك أنه قدم النداء على الامر فقيل (يا أرض ابلعي — وياسماء أقلعي) دون أن يقال : ابلعي يا أرض ، وأقلعي ياسماء ، جريا على مقتضى اللازم فيمن كان مأموراً حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الامر الوارد عقيبه في نفس المنادى قصداً بذلك لمعنى الترشيح للاستعارة المكنية في الارض والسماء . ثم قدم أمر الارض على أمر السماء لكونها الاصل نظراً إلى كون ابتداء الطوفان منها حيث فار تنورها أولا . ثم جعل قوله سبحانه (وغيض الماء) تابعاً لأمر الارض والسماء لاتصاله بقصة الماء وأخذه بحجزتها . ألا ترى أصل الكلام (قيل يا أرض ابلعي ماءك) فبلعت ماءها (وياسماء اقلعي) عن إرسال الماء فأقلعت عن إرساله (وغيض الماء) النازل من السماء فغاض ، وقيد الماء بالنازل وإن كان في الآية مطلقا لان ابتلاع الارض ماءها فهم

من قوله سبحانه (ابلعي ماءك) واعترض بأن الماء المخصوص بالارض إن أريد به ما على وجهها فهو يتناول القبيلين الارضي والسماوي ، وإن أريد به ما نبع منها فاللفظ لا يدل عليه بوجه ، ولهذا حمل الزمخشري الماء على مطلقه ، وأشعر كلامه بأن (غيض الماء) إخبار عن حصول المأمور به من قوله سبحانه (يا أرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي) فالتقدير قيل لها ذلك فامتثلا الامر ونقص الماء

« ورجح الطيبي ما ذهب اليه السكاكي زاعماً ان معنى الغيض حينئذ ما قاله الجوهري وهو عنده مخالف للمعنى الذي ذكره الزمخشري فقال :إن إضافة الماء إلى الارض لما كانت ترشيحاً للاستعارة تشبيها لاتصاله بها باتصال الملك بالمالك ولما جيء بضمير الخطاب اقتضت إخراج سائر المياه سوى الذي بسببه صارت الارض مهيأة للخطاب بمنزلة المأمور المطيع وهو المعهود في قوله تعالى (وفار التنور) وبهذا الاعتبار يحصل التوغل في تناهي التشبيه والترشيح ، ولو أجريت الاضافة على غير هذا تكون كالتجريد وكم بينهما

« هذا ولو حمل على العموم لاستلزم تعميم ابتلاع المياه [illegible] لورود الامر من مقام العظمة كما علمت من كلام السكاكي وليس بذاك ، وتعقبه في الكشف بأنه دعوى بلا دليل ورد يمين ؛ إذ لا معهود ، والظاهر ما على وجه الارض من الماء ولا ينافي الترشيح وإضافة المالكية . ثم الظاهر من تنزيل الماء منزلة الغذاء أن تحمل الاضافة من باب إضافة الغذاء إلى المتغذي في النفع والتقوية وصيرورته جزءا منه ، ولا نظر فيه إلى كونه مملوكا أو غير ذلك ، وأما التعميم فمطلوب وحاصل على التفسيرين لانحصار الماء في الارضي والسمائي ، وقد فهم بنصوصهما من قوله سبحانه فبلعت ؟ وقوله تعالى (وغيض) ولا شك أن ما عندنا من الماء غير ماء الطوفان

« هذا والمطابق تفسير الزمخشري ، ألا ترى إلى قوله جل وعلا (فالتقى الماء) أي الارضي والسمائي ، وههنا تقدم الماءان في قوله سبحانه « ماءك - وياسماء أقلعي » لان تقديره :عن إرسال الماء على زعمهم ، فاذا قيل « وغيض الماء » رجع اليهما لا محالة لتقدمهما . ثم إذا جعل من توابع « أقلعي » خاصة لم يحسن عطفه على أصل القصة أعني « وقيل يا أرض ابلعي » كيف وفي إيثار هذا التفسير الاشارة إلى أنه

زال كونه طوفانا لان نقصان الماء غير الاذهاب بالكلية، وإلى أن الأجزاء الباطنة من الارض لم تبق على ما كانت عليه من قوة الانباع ورجعت إلى الاعتدال المطلوب وليس في الاختصاص المنصوب هذا المعنى البتة اهـ

«وزعم الطبرسي ان أئمة البيت رضي الله تعالى عنهم على ان الماء النضاف هو ماتبع وفار وانه هو الذي ابتلع وغاض لاغيره، وان ماء السماء صار بحاراً وأنهاراً

«وأخرج ابن عساكر من طريق الكلبي عن ابن عباس مايؤيده وهذا مخالف لما يقتضيه كلام السكاكي مخالفة ظاهرة وفي القلب من صحته مافيه

«ثم انه تعالى أتبع (غيض الماء) ماهو المقصود الاصلي من القصة وهو قوله جلت عظمته (وقضي الامر) ثم أتبع ذكر المقصود حديث السفينة لتأخره عنه في الوجود، ثم ختمت القصة بالتعريض الذي بطن

مزايا الآية من جهة الفصاحة المعنوية واللفظية

«هذا كله نظر فيها من جانب البلاغة، وأما النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية فهي كما ترى نظم معانيها لطيف، وأداء معانيها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد، ولا التواء يشيك الطريق الى المرتاد، بل اذا جربت نفسك عند استماعها وجدت ألفاظها تسابق معانيها، ومعانيها تسابق ألفاظها، فما من لفظة فيها تسبق الى أذنك، إلا ومعناها أسبق الى قلبك

«وأما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية فألفاظها على ماترى عربية مستعملة جارية على قوانين اللغة سليمة عن التنافر، بعيدة عن البشاعة، عذبة على العذبات، سلسة على الأسلات، كل منها كالماء في السلاسة، وكالعسل في الحلاوة، وكالنسيم في الرقة، ولله تعالى در التنزيل ماذا جمعت آياته

وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

«وما ذكر في شرح مزايا هذه الآية بالنسبة الى مافيها قطرة من حياض، وزهرة من رياض

مزايا الآية من جهة المحسنات البديعية

« وقد ذكر ابن أبي الاصبع ان فيها عشرين ضربا من البديع مع انها سبعة عشرة لفظة، وذلك المناسبة التامة في (ابلعي - و - أقلعي)، والاستعارة فيهما، والطباق بين الارض والسماء، والمجاز في ياسماء، فان الحقيقة يامطر السماء، والاشارة في وغيض الماء فانه عبر به عن معان كثيرة لان الماء لايغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الارض مايخرج منها فينقص ماعلى وجه الارض والارداف في (واستوت) والتمثيل في (وقضي الامر) والتعليل فان غيض الماء علة الاستواء ، وصحة التقسيم فانه استوعب أقسام الماء حال نقصه، والاحتراس في الدعاء لئلا يتوهم أن الغرق لعمومه شمل من لايستحق الهلاك، فان عدله تعالى يمنع أن يدعو على غير مستحق، وحسن النسق ، والائتلاف للفظ مع المعنى ، والايجاز فانه سبحانه قص القصة مستوعبة بأخصر عبارة، والتسهيم لان أول الآية يدل على آخرها ، والتهذيب لان مفرداتها موصوفة بصفات الحسن وحسن البيان من جهة أن السامع لايتوقف في فهم معنى الكلام ولا يشكل عليه شيء منه، والتمكين لان الفاصلة مستقرة في محلها مطمئنة في مكانها، والانسجام، وزاد الجلال السيوطي بعد أن نقل هذا عن ابن أبي الاصبع الاعتراض ، وزاد آخرون أشياء كثيرة إلا انها ككلام ابن أبي الاصبع قد أشير اليها بأصبع الاعتراض

« وقد ألف شيخنا علاء الدين — أعلى الله تعالى درجته في أعلى عليين — رسالة في هذه الآية الكريمة جمع فيها ماظهر له ووقف عليه من مزاياها فبلغ ذلك مائة وخمسين مزية ، وقد تطلبت هذه الرسالة لاذكر شيئاً من لطائفها فلم أظفر بها، وكأن طوفان الحوادث أغرقها ، ولعل فيما نقلناه سداداً من عوز ، والله تعالى الموفق للصواب وعنده علم الكتاب » انتهى

العلاوة الثانية

﴿ حادثة الطوفان في القرآن والتوراة والتاريخ القديم ﴾

بينا مراراً أن أحداث التاريخ وضبط وقائعه وأزمنتها وأمكنتها ليس من مقاصد القرآن ، وان مافيه من قصص الرسل مع أقوامهم فانما هو بيان لسنة الله فيهم وماتتضمنه من أصول الدين والاصلاح التي أجملناها في بيان حكمة التحدي بعشر سور منه من تفسير هذه السورة ، بعشر جمل جامعة لأنواع المعارف والفوائد والعبر والمواعظ والنذر المفرقة

وبينا أن قصة نوح عليه السلام جاءت في عدة سور في كل سورة منها ماليس في سائرها من ذلك، وهذه لم يذكر فيها من حادثة الطوفان إلا مافيه العبرة والموعظة المقصودة بالذات منها ، فذكرت في بعضها بآية وفي بعضها بآيتين فما فوقهما من جمع القلة ، وما في هذه [illegible]

قصة نوح في سفر التكوين

وأما قصة نوح في سفر التكوين وهو السفر الاول من الاسفار التي يسمونها التوراة فهي قصة تاريخية وردت في سياق أنساب ذرية آدم وتسلسلها في السنين المعدودة ، الى أن تتصل ببني اسرائيل المقصودين بالذات لمؤلفه دون غيرهم من البشر وهذا التاريخ نقضه من أساسه علم الجيولوجية وما كشف من آثار الانسان المتحجرة وغيرها

في الفصل الاول من سفر التكوين بيان خلق السموات والارض في ستة أيام في سادسها خلق آدم ، وفي الفصل الثاني تفصيل لما خلق الله في الارض ومنه انه غرس جنة في عدن شرقا ووضع فيها آدم ، وفي آخره ذكر خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم اليسرى ، وفي الفصل الثالث خبر معصية آدم بأكله من شجرة الحياة طاعة لامرأته التي أغوتها الحية وحملتها على الاكل منها ، وفي الفصل الرابع تناسل آدم وحواء ، وفي الخامس مواليد آدم إلى نوح وهو البطن التاسع من ذريته و كان

بين خلق آدم وولادة نوح ١٠٥٦ سنة منها ٩٣٠ سنة مدة حياة آدم عليه السلام

وأما قصة نوح عليه السلام فاستغرقت فيه أربعة فصول من ٦ – ٩ في آخر التاسع منها ان نوحا عاش ٩٥٠ سنة وفي أول السادس بيان سبب الطوفان وهو بمعنى ما في القرآن الا انه بأسلوب تلك الكتب التي تشبه الله تعالى بالانسان في الصورة والمعنى أو ما تكرر فيمن انه خلق آدم على صورته (١:٢٦ وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء و.. ٢٧ لخلق الله الانسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى) وهذا ما يعنينا في هذا السفر من قصة نوح

(٦:٥ ورأى الرب ان شر الانسان قد كثر في الارض وان كل تصور أفكار قلبه انما هو شرير كل يوم ٦ فحزن الرب انه عمل الانسان في الارض وتأسف في قلبه ٧ فقال الرب أمحو عن وجه الارض الانسان الذي خلقته ، الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لاني حزنت اني عملتهم ٨ وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب ٩ هذه مواليد نوح . كان نوح رجلا بارا كاملا في أجياله وسار نوح مع الله ١٠ وولد نوح ثلاثة بنين ساما وحاما ويافث ١١ وفسدت الارض أمام الله وامتلأت ظلما ١٢ ورأى الله الارض فاذا هي قد فسدت إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الارض ١٣ فقال الله لنوح : نهاية كل بشر قد أتت أمامي لان الارض امتلأت ظلما منهم فها أنا مهلكهم مع الارض ١٤ اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر) الخ وههنا وصف طول الفلك وعرضه وارتفاعه وبابه في جانبه وطبقاته الثلاث ومن يدخل فيه معه وهم امرأته وبنوه الثلاثة وأزواجهم الثلاث ومن كل حي من كل ذي جسد زوجين اثنين، وكل من يبقى في الارض وتحت السماء يهلك ، وقد كرر ذكر من يدخل الفلك ، وذكر تاريخ دخول الفلك من عمر نوح ومدة المطر وهو أربعون يوما ومقدار ارتفاع الفلك فوق الجبال وهو ١٥ ذراعا وبقاء المياه على الارض ١٥٠ يوما

كل ذلك في الفصلين السادس والسابع وذكر في الفصل الثامن رجوع المياه عن الارض بالتدريج واستقرار الفلك على جبال أراراط وما كان من خروج

نوح ومن معه من السفينة (قال) ٨ : ٢٠ وبنى نوح مذبحاً للرب وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح ٢١ فتنسم الرب رائحة الرضى وقال الرب في قلبه : لا أعود ألعن الارض أيضا من أجل الانسان، لان تصور قلب الانسان شرير منذ حداثته ولا أعود أيضا أميت كل حي كما فعلت ٢٢ مدة كل أيام الارض زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل لا تزال)

وفي الفصل التاسع مباركة الله لنوح وبنيه وإكثارهم ليملؤا الارض وتأمينهم من عودة الطوفان باعطائهم ميثاقه وهو قوس السحاب بل جعلها أمانا لكل الاحياء ، وقال في أبناء نوح ١٩:٩ هؤلاء الثلاثة بنو نوح ومن هؤلاء تشعبت كل الارض) وفيه ان الرب لعن كنعان بن يافث وجعله وذريته عبيداً لذرية سام وحام لانه نظر إلى عورة جده نوح إذ تعرى وهو سكران

هذه خلاصة قصة نوح في سفر التكوين وليس فيها انه كان رسولا ولا انه دعا قومه إلى الله ولا انه آمن معه أحد ولا انه كان له ولد كافر غرق مع قومه ولا امرأة كافرة ولا ندري أكان كفرها قبل الطوفان فغرقت معهم ولكنه يوافق القرآن في أن سبب الطوفان غضب الله على البشر بفسادهم وظلمهم ولكن بأسلوبه المشبه لله سبحانه بالانسان في صفاته الباطنة كصورته الظاهرة

عمر نوح وتعليل طوله كأعمار من قبله

ويوافق القرآن تقريباً في عمر نوح وهو ٩٥٠ سنة ولكن نص القرآن انه لبث في قومه هذه المدة . وهي مسألة قد اشتبه فيها الناس منذ قرون حتى زعم بعضهم ان السنة عند المتقدمين أقل من السنة عند أهل القرون بعد تدوين التاريخ كما ان الايام والسنين في زمن التكوين أطول من هذه الازمنة كما قال تعالى (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) وتقدم هذا في محله . والذي نراه في أعمار آدم وذريته إلى ما قبل الطوفان أو قبل ما كشف من آثار التاريخ لا يقاس بما عرف بعد ذلك لان طبيعة العمران ومعيشة الانسان الفطرية كانت أسلم للابدان ، وقول الله هو الحق ويجب الايمان به على كل حال

سفر التكوين ليس من توراة موسى

وسفر التكوين هذا ليس حجة قطعية فيما ذكر فيه فضلا عما سكت عنه، فان التوراة التي كتبها موسى عليه السلام ووضعها بجانب تابوت العهد كما ذكر في سفر التثنية قد فقدت هي والتابوت بحريق الهيكل ، وهذه الاسفار المعتمدة عند اليهود قد كتبت كلها بعد الرجوع من سبي بابل في سنة ٥٣٦ قبل ميلاد المسيح عليه السلام ويقولون إن عزرا هو الذي كتبها وجمعها ، وليس لها سند متصل اليه دع اتصالها بمن قبله، وقد اشتهر ان الاستاذ جبر ضومط مدرس البلاغة في الجامعة الامريكانية ببيروت ألف رسالة رجح فيها ان سفر التكوين مأثور عن يوسف عليه السلام ولما نطلع عليه ، وجملة القول أنه ليس له سند إلى من كتبه ، ولا يقوم دليل على انه وحي من الله تعالى ولكنه على كل حال أثر تاريخي قديم له قيمته

وأما القرآن فقد قامت البراهين على انه كلام الله ووحيه إلى محمد رسول الله وخاتم النبيين كما فصلناه في مواضع كثيرة أجمعها (كتاب الوحي المحمدي)

الاسرائيليات في تفسير قصة نوح

وأما ما حشا المفسرون به تفاسيرهم من الروايات في هذه القصة وغيرها عن الصحابة والتابعين وغيرهم فلا يعتد بشيء منه، ولم يرفع منه شيء إلى النبي ﷺ بسند صحيح ولا حسن . وأمثل ماروي فيه حديث عائشة في صنع السفينة وأم الولد الكافر الذي رفعته لينجو فغرق معها وهو ضعيف كما تقدم ، وأنكر منه مارواه ابن جرير عن ابن عباس من احياء عيسى عليه السلام بطلب الحواريين لحام ابن نوح وتحديثه إياهم عن السفينة في طولها وعرضها وارتفاعها وطبقاتها وما في كل منها ، ودخول الشيطان فيها بحيلة احتال بها على نوح ومن ولادة خنزير وخنزيرة من ذنب الفيل وسنور وسنورة (قط وقطة) من منخر الاسد وكل ذلك من الاباطيل الاسرائيلية المنفرة عن الاسلام ، وقد رواه من طريق علي بن زيد بن جدعان وقد ضعفه الائمة كأحمد ويحيى وغيرهم ، وقال ابن عدي كان يغلو في التشيع ومع ذلك يكتب حديثه . أقول وحسبهم هذه الرواية حجة عليه

خبر الطوفان في الامم القديمة

وقد ورد في تواريخ أكثر الامم القديمة ذكر للطوفان منها الموافق لخبر سفر التكوين إلا قليلا ومنها المخالف له إلا قليلا وأقرب الروايات اليه رواية الكلدانيين وهم الذين وقع الطوفان في بلادهم فقد نقل عنهم برهوشع ويوسيفوس ان زيزستروس رأى في الحلم بعد موت والده أوتيرت ان المياه ستطغى وتغرق جميع البشر وأمره بناء سفينة يعتصم فيها هو وأهل بيته وخاصة أصدقائه ففعل ، وهو يوافق سفر التكوين في أنه كان في الارض جيل من الجبارين طغوا فيها وأكثروا الفساد فعاقبهم الله بالطوفان وقد عثر بعض الانكليز على ألواح من الآجر نقشت فيها هذه الرواية بالحروف المسمارية في عصر أشور بانيبال من نحو ٦٦٠ سنة قبل ميلاد المسيح ، وأنها منقولة من كتابة قديمة من القرن السابع عشر قبل المسيح او قبله ، فهي أقدم من سفر التكوين

وروى اليونان خبراً عن طوفان أورده أفلاطون وهو ان كهنة المصريين قالوا لسولون (الحكيم اليوناني) ان السماء أرسلت طوفاناً غير وجه الارض فهلك البشر مراراً بطرق مختلفة [illegible] الجيل الجديد [illegible] من قبله ومعارفهم

وأورد مانيتون خبر طوفان حدث بعد هرمس الاول الذي كان بعد ميناس الاول ، وهذا أقدم من تاريخ التوراة أيضاً

وروي عن قدماء اليونان خبر طوفان عم الارض كلها إلا دوكاليون وامرأته پيرا فقد نجوا منه ، وروي من قدماء الفرس طوفان أغرق الله به الارض بما انتشر فيها من الفساد والشرور بفعل (اهريمان) إله الشر ، وقالوا ان هذا الطوفان فار أولا من تنور العجوز (زول كوفه) إذ كانت تخبز خبزها فيه ، ولكن المجوس أنكروا عموم الطوفان وقالوا انه كان خاصاً بإقليم العراق وانتهى إلى حدود كردستان .

وكذا قدماء الهنود يثبتون وقوع الطوفان سبع مرات في شكل خرافي آخرها أن ملكهم نجا هو وامرأته في سفينة عظيمة أمره بصنعها إلهه فشنو شدها بالبحر حتى استوت على جبل جبافات (حملايا) ولكن البراهمة كالمجوس ينكرون وقوع طوفان عام أغرق الهند كلها . ويروى تعدد الطوفان عن اليابان والصين وعن البرازيل والمكسيك وغيرهما وكل هذه الروايات تتفق في ان سبب ذلك عقاب الله للبشر بظلمهم وشرورهم

العلاوة الثالثة

(هل كان الطوفان عاما أم خاصا ؟)

نص التوراة — أو سفر التكوين — ان الطوفان كان عاما مهلكا لجميع البشر إلا ذرية نوح من أبنائه الثلاثة سام وحام ويافث فانه لم يكن في الارض غيرهم بحسب ما سبق فيه خبره من خلق السموات والارض وآدم وذريته كما تقدم

والله تعالى يقول (١٨ : ٥١ ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) أما قوله في نوح عليه السلام بعد ذكر تنجيته وأهله (٣٧ : ٧٧ وجعلنا ذريته هم الباقين) فالحصر فيهم يجوز أن يكون إضافيا أي الباقين دون غيرهم من قومه ، وأما قوله (٧١ : ٢٦ وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) فليس نصا في ان المراد بالارض هذه الكرة كلها فان المعروف في كلام الانبياء والاقوام وفي اخبارهم أن تذكر الارض ويراد بها أرضهم ووطنهم كقوله تعالى حكاية عن خطاب فرعون لموسى وهارون (١٠ : ٧٨ وتكون لكما الكبرياء في الارض) يعني أرض مصر، وقوله (١٧ : ٧٦ وإن كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها) فالمراد بها مكة ، وقوله (١٧ : ٤ وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين) والمراد بها الارض التي كانت وطنهم والشواهد عليه كثيرة

ولكن ظواهر الآيات تدل بمعونة القرائن والتقاليد الموروثة عن أهل الكتاب على انه لم يكن في الارض كلها في زمن نوح إلا قومه، وأنهم هلكوا كلهم بالطوفان ولم يبق بعده فيها غير ذريته ، وهذا يقتضي أن يكون الطوفان في البقعة التي كانوا فيها من الارض سهلها وجبالها لا في الارض كلها ، إلا اذا كانت اليابسة منها في ذلك الزمن صغيرة لقرب العهد بالتكوين وبوجود البشر عليها ، فان علماء التكوين وطبقات الارض (الجيولوجية) يقولون ان الارض كانت عند انفصالها من الشمس كرة نارية ملتهبة ثم صارت كرة مائية ثم ظهرت فيها اليابسة بالتدريج

وقد استفتي شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في هذه المسألة فأفتى بما ننقله هنا بنصه من (ص ٦٦٦) من الجزء الاول من تاريخه وهو :

طوفان نوح ، هل عم الأرض كلها ؟

جواب سؤال ورد على الاستاذ الامام مفتي الديار المصرية من حضرة الاستاذ الشيخ عبد الله القدومي خادم العلم الشريف بمدينة نابلس، وفيه نص السؤال :

وصلنا مكتوبكم المؤرخ في ٤ شوال سنة ١٣١٧ الذي تبينتم به أنه ظهر قبلكم نشء جديد من الطلبة ديدنهم البحث في العلوم والرياضة والخوض في توهين الادلة القرآنية ، وقد سمع من مقالهم الآن أن الطوفان لم يكن عاما لانحاء الارض ، بل هو خاص بالارض التي كان بها قوم نوح عليه السلام ، وأنه بقي ناس في أرض الصين لم يصبهم الغرق، وان دعاء نوح عليه السلام بهلاك الكافرين لم يكن عاما بل هو خاص بكفار قومه ، لانه لم يكن مرسلا إلا إلى قومه بدليل ما صح « وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة »

فاذا قيل لهم : ان الآيات الكريمة ناطقة بخلاف ذلك، كقوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) وكقوله تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) وقوله تعالى (لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم) قالوا هي قابلة للتأويل ولا حجة فيها ، وإذا قيل لهم ان حجابنا المحدثين أجابوا بأنه صح في أحاديث الشفاعة أن نوحاً عليه السلام أول رسول بعثه الله إلى أهل الارض ، وانه يتعين أن يكون قومه أهل الارض ، ويكون عموم بعثته أمراً اتفاقياً لعدم وجود أحد غير قومه ، ولو وجد غيره لم يكن مرسلا اليهم - سخروا من المحدثين، واستندوا إلى حكايات منسوبة إلى أهل الصين . ورغبتم منا بذلك المكتوب كشف الغطاء عن سر هذا الحادث العظيم ، والافادة بما يقتضيه الحق ، ويطمئن اليه القلب .

والجواب من ذلك والحمد لله : أما القرآن الكريم فلم يرد فيه نص قاطع على عموم الطوفان ، ولا على عموم رسالة نوح عليه السلام ، وما ورد من الاحاديث على فرض صحة سنده فهو آحاد لا يوجب اليقين ، والمطلوب في تقرير مثل هذه الحقائق هو اليقين لا الظن ، إذا عد اعتقادها من عقائد الدين

وأما المؤرخ ومريد الاطلاع فله أن يحصل من الظن ما ترجحه عنده ثقته بالراوي

أو المؤرخ أو صاحب الرأي ، وما يذكره المؤرخون والمفسرون في هذه المسألة لا يخرج عن حد الثقة بالرواية أو عدم الثقة بها ، ولا تتخذ دليلا قطعيا على معتقد ديني

وأما مسألة عموم الطوفان في نفسها فهي موضوع نزاع بين أهل الاديان وأهل النظر في طبقات الارض ، وموضوع خلاف بين مؤرخي الامم ، أما اهل الكتاب وعلماء الامة الاسلامية فعلى أن الطوفان كان عاما لكل الارض ، ووافقهم على ذلك كثير من أهل النظر ، واحتجوا على رأيهم بوجود بعض الاصداف والاسماك المتحجرة في أعالي الجبال ، لان هذه الاشياء مما لا تتكون إلا في البحر . فظهورها في رءوس الجبال دليل على أن الماء صعد اليها مرة من المرات ، ولن يكون ذلك حتى يكون قد عم الارض ، ويزعم غالب أهل النظر من المتأخرين ان الطوفان لم يكن عاما ولهم على ذلك شواهد يطول شرحها ، غير أنه لا يجوز لشخص مسلم أن ينكر قضية ان الطوفان كان عاما لمجرد احتمال التأويل في آيات الكتاب العزيز ، بل على كل من يعتقد بالدين أن لا ينفي شيئا مما يدل عليه ظاهر الآيات والاحاديث التي صح سندها وينصرف عنها إلى التأويل إلا بدليل عقلي يقطع بأن الظاهر غير مراد ، والوصول إلى ذلك في مثل هذه المسألة يحتاج الى بحث طويل وعناء عظيم وعلم غزير في طبقات الارض وما تحتوي عليه ، وذلك يتوقف على علوم شتى عقلية ونقلية ، ومن هذى برأيه بدون علم يقيني فهو مجازف لا يسمع له قول ، ولا يسمح له بنشر جهالاته ، والله سبحانه وتعالى أعلم . اه

(أقول) خلاصة هذه الفتوى ان ظواهر القرآن والاحاديث ان الطوفان كان عاما شاملا لقوم نوح الذين لم يكن في الارض غيرهم ، فيجب اعتقاده ولكنه لا يقتضي أن يكون عاما للارض اذ لا دليل على انهم كانوا يملأون الارض ، وكذلك وجود الاصداف والحيوانات البحرية في قلل الجبال لا يدل على أنها من أثر ذلك الطوفان بل الاقرب انه كان من أثر تكون الجبال وغيرها من اليابسة في الماء كما قلنا آنفا ، فان صعود الماء الى الجبال أياما معدودة لا يكفي لحدوث ما ذكر فيها ، وقد قلنا في العلاوة الثانية ان هذه المسائل التاريخية ليست من مقاصد القرآن ولذلك لم يبينها بنص قطعي ، فنحن نقول بما تقدم إنه ظاهر النصوص ولا نتخذه عقيدة دينية قطعية ، فان أثبت علم الجيولوجية خلافه لا يضرنا ، لانه لا ينقض نصا قطعيا عندنا

العلاوة الرابعة

﴿في غضب الله على عباده وعقابهم ببعض ظلمهم وفسوقهم في الدنيا بمناسبة القصة﴾

بينا أن طوفان نوح عليه السلام كان عذابا عاقب الله به قومه على ظلمهم وإجرامهم وان رواية سفر التكوين موافقة للقرآن في هذا ، وكذلك كل ماروي عن الامم القديمة من أخبار الطوفان العام أو الخاص قد جاء فيها هذا المعنى فهو متواتر عن أكثر الامم تواتراً معنوياً

وجاء في القرآن ان الله تعالى عاقب غير قوم نوح من أقوام الانبياء عليهم السلام بعذاب الاستئصال لما عمهم وشملهم الشرك والظلم والفساد ، كما قال بعد ذكر أشهرهم في التاريخ (٢٩ :٣٩ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفنا به الارض ، ومنهم من أغرقنا، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وسيأتي تفصيل عقاب هؤلاء الاقوام بعد قصة نوح هذه

وقد بينا في هذا التفسير أن عذاب الاستئصال إنما وقع على الامم التي عمها الفساد وأنذرها الرسل وقوعه فلم يرجعوا ، وانه ماوقع على قوم وفيهم مؤمن صالح ، وإنما كان الله تعالى يخرج منهم رسوله ومن آمن معه ويهلك الباقين كما قال (١٧: ١٥ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال (٢٨: ٥٨ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين ٥٩ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون) ولما كان في قوم فرعون مؤمنون لا يعلم عددهم إلا الله تعالى لم يغرقهم كلهم وإنما أغرق من خرجوا معه لاعادة بني اسرائيل الى الاستعباد والظلم

وبينا أيضاً ان أمة محمد ﷺ التي وجهت اليها دعوته هم جميع البشر ، وأن الله تعالى أرسله رحمة للعالمين ، ولهذا لا يهلكها بعذاب الاستئصال لانها لا تجمع على الكفر والفساد في الارض ، وإنما يكون هلاكها العام بقيام الساعة العامة التي يهلك بها البشر كلهم ،

وهذا إنما يكون إذا عمهم الكفر كما ورد في الحديث الذي رواه أحمد ومسلم والترمذي عن أنس مرفوعاً اليه ﷺ وهو «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله»

وقد ثبت في آيات كثيرة ان العذاب يقع في هذه الامة – أمة الدعوة وأمة الاجابة – خاصاً بالظالمين والفاسقين لا عاما للبشر كلهم ولكنه قد يعم أفراد من يقع فيهم، وقد قال الله تعالى (٦: ٦٥ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض، انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون) وكل هذه الانواع واقعة وقد روي عن عبد الله ابن مسعود (رض) ان هذه الآية فيمن يأتي بعد، أي بعد عصر النبي ﷺ وأصحابه في المستقبل، وقد ظهرت في هذا العصر بأشكال لم تكن تخطر على بال بشر في العصور السابقة وهي عذاب الطيارات الحربية، والالغام الارضية، والغواصات البحرية، وتفرق الاقوام إلى شيع الدولات فوق العهود من قبلهم، وقد فصلنا ذلك في تفسيرها من سورة الانعام.

كذلك يكثر في الامم الحاضرة في كل عصر مثل ما عذب به الاقوام الاولون المجرمون الظالمون من الطوفان والغرق وخسف الارض وتفجير النار من البراكين والصواعق، وشدة القيظ المحرق للنبات القاتل للانسان والحيوان. وقد اشتدت هذه الانواع في هذين العامين فكانت على أشدها في صيف عامنا هذا (١٣٥٣ ه ١٩٣٤م) في امريكة وأوربة ولا سيما انكلترة والهند والترك والفرس والشرق الاقصى، وخسفت بعض الارض بالزلازل في الهند. وحدث في مصر وسورية والعراق وشمال افريقية شيء من الجوع وهلاك الحرث ونقص الانفس والثمرات، وهي مما ورد في القرآن أيضاً، ولا يزال القيظ على أشده في الولايات المتحدة وانكلترة،

ونسأل الله تعالى أن يحمي مصر من طغيان في النيل كطغيان بعض أنهار الصين والهند أخيرا وفرنسة قبلهما، عقابا لنا بظلم الظالمين من حكامنا وفسق الفاسقين من دهمائنا اللهم قد كثر الفساد في البر والبحر، وقل من يعرفك في الشدة والرخاء، ومن يدعوك وحدك في السراء أو الضراء، اللهم تب علينا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، وأدم لنا هذا النيل رحمة، ولا تجعل منه عقوبة للامة

اعتبار المؤمنين بالمصائب العامة وتوبتهم رجاء رفعها

كان المؤمنون بالله من جميع الامم إذا وقع عذاب مثل هذا يعتبرون ويتذكرون الله تعالى فيتوبون اليه ويستغفرونه كما كانت أنبياؤهم توصيهم ويعلمونهم ان التوبة الى الله واستغفاره من الذنوب ولا سيما الظلم والفسق من أسباب إدرار الغيث والرزق كما قال تعالى في أول هذه السورة (١١ : ٣ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعاً حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله ، وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) ثم قال حكاية عن نبيه هود عليه السلام (٥٢ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) وقال حكاية عن نوح في سورته (١٠ فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً ١١ يرسل السماء عليكم مدرارا ١٢ ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) ولم يخطر في بال رجال الدين ولا غيرهم في الولايات المتحدة والمتكاثرة و[illegible] فتحل عليهم بفسقهم وظلمهم عند ما اشتد القيظ ومنع المطر واحترقت الزروع وهلكت المواشي ، ويدعوهم الى التوبة والاستغفار والاستسقاء العام (٦ : ٤٣ فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ٤٤ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) أي خائبون متحسرون أو يائسون

وقال في مشركي أهل مكة (٨ : ٣٢ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ٣٣ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) فلما خرج ﷺ منهم ودعا عليهم أصابهم القحط الشديد حتى أكلوا العلهز وأرسلوا اليه يستشفعون به حتى كان أبو سفيان أعدى أعدائه هو الذي كلمه واستعطفه على قومه ، وفيهم أنزل الله تعالى (١٦ : ١١٢ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ١١٣ ولقد جاءهم

رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) وما جعل الله هذا مثلا إلا لانه يشمل الاولين والآخرين حتى كانت أغنى عواصم الارض وقراها كلندن وباريس ذاقت ألم الجوع والخوف في سني الحرب العامة (ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون)

الافكار المادية المانعة من الاتعاظ بالنوازل

فان قيل ان أكثر الظالمين في هذا العصر ماديون يعتقدون ان طوفان نوح الذي اختلف فيه هل كان عاما هلك به جميع أهل الارض إلا من نجا في السفينة أو خاصاً بقوم نوح يعتقدون انه حدث بأسباب طبيعية كما حدث في هذا العام في مواضع في فرنسة وغيرها من أوربة وفي اليابان والهند والصين فأهلك كثيرا من الناس وأتلف من المباني والزارع ما قدرت قيمته بألوف الالوف من الجوانيه والدنانير، وهم يعتقدون ان الطوفان العام ان يحدث في الارض بعد ، وان طوفان نوح انما كان عظيما عاما كان أو خاصاً لانه كان قريب العهد بتكوين الارض إذ كان أكثرها مغموراً بالماء، وسطح اليابسة واطئاً، والبحار كثيرة، وقد صرح المتكلمون من علمائنا بهذا الرأي في كتاب المواقف وغيره : اذ قالوا ان هذا المعمور كان مغموراً بالماء بدليل ما يوجد في أعالي الجبال من الاصداف البحرية والاسماك المتحجرة اه بالمعنى

وهكذا يقولون فيا يعذبون به من الاحداث الجوية كقحط المطر وانحباسه وحقاق المياه وغئورها وشدة صخد الشمس ووصفها ، وقد اشتد هذا في أكثر بلاد الانكليز وامريكة فاحترق جل زروعهم الصيفي وهلك به كثير من مواشيهم بل مات به ألوف منهم مئات من أهل مدينة نيويورك وحدها وهي أعظم أمثرة العالم فأ كثر بلاد الافرنج في هذا العام في سخط الله تعالى بين حريق وغريق جزاء بما أفسدوا في الارض بالقتل والتخريب والتدمير في سني الحرب الاربع الاخيرة ، ثم بما أسرفوا بعدها في الفجور والشرور وإباحة الفواحش والنكرات ، وإنفاق مازاد من أموالهم على الاستعداد لحرب شر منها ، وباشتداد ظلمهم المستضعفين في مستعمراتهم الرسمية وغير الرسمية ، ولا يعتبر أحد بهذه المصائب فيتوبوا

من ظلمهم وفسقهم، لأنهم لا يؤمنون بأنها عذاب ونقم من الله تعالى ، فأما اللادينيون منهم فأمرهم ظاهر ، وأما المؤمنون بوجود إله للعالم فلا يسندون إلى مشيئته وحكمته إلا ما يجهلون له سبباً من نظام الطبيعة ، ويظنون أن كل ما يجري في نظام الأسباب فليس لله تعالى فيه مشيئة وحكمة غير سببه ، والأسباب لا تتبدل باختلاف الناس صلاحا وفساداً ، بل يعد اللادينيون هذه المعرفة بنظام الأسباب برهانا على الكفر والتعطيل ، وجهل المؤمنين بترقي العلوم . وجملة القول فيهم أن المستحوذ على عقولهم هو ما يسمونه «نظرية الميكانيكية» وخلاصة معناها أن العالم كله كآلة كبيرة تدار بقوة كهربائية فيتحرك بعض أجزائها بحركة الآخر ، وليس للقوة المحركة لها كلها علم ولا إرادة ولا اختيار في شيء منها ، ولكن من أوجد القوة ومن يحركها ويحفظ وحدة النظام فيها

وأما قولهم إن لكل شيء من أحداث العالم سبباً ، وإن لهذه الأسباب نواميس وسننا ، وإنها عامة لا خاصة ، فالصحيح تدل عليه آيات القرآن الحكيم ، وأولها آيات القدر والتقدير ، التي يجهل الجمهور معناها ، ومنها الآيات الناطقة بأن سنن الله لا تتبدل ولا تتحول ، ومنها قوله في العقاب والنقم (٨ : ٢٥ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) وقوله في الأرزاق والنعم (١٧ : ٢٠ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً) أي ما كان ممنوعا عن أحد من مؤمن وكافر ، ولا بر ولا فاجر

ولكنه أخبرنا مع هذه القواعد العامة ، أن له في بعض المصائب مشيئة خاصة وحكمة بالغة كقوله (٣٠ : ٤١ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) وقوله (٤٢ : ٣٠ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) ، إن كان هذا في أسباب المصائب الطبيعية فما جاء في الأسباب المعنوية قوله (٣ : ١١٧ مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته ، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) الصر بالكسر البرد الشديد أو الحر الشديد ، وفي معناه مثل أصحاب الجنة الظالمين في سورة القلم ، ومثل صاحب الجنتين الظالم لنفسه في سورة الكهف ، وقد أهلك الله جناتهم بظلمهم ، ولله في خلقه عقاب خفي ، وله فيهم لطف خفي ، فنسأله اللطف بنا

وإذا أراد الله شيئاً فإنه لا يفعله بإبطال السنن والأقدار ولكن بترجيح أو بالتوفيق بينها كما قال (وجئت على قدر ياموسى) ولله در صريع الغواني حيث قال «وتوفيق أقدار لأقدار» وراجع تفسير (١٠: ٢٣ يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم) في ص ٣٤٢ ج ١١

لماذا لا يهلك الله الأمم الباغية الظالمة في عصرنا

﴿ فإن قيل ﴾ لماذا لا يهلك الله تعالى أمة من هذه الأمم الظالمة الباغية برمتها كما ضرب لنا الأمثال بهلاك قوم نوح وعاد وثمود ولوط ؟ (قلنا) ان أولئك الأمم ما أهلكهم الله إلا لأنهم أجمعوا على الشرك والظلم والفساد في الأرض إلا قليلا منهم فارقوهم مع أنبيائهم بعد ان أنذرهم الله العذاب على ألسنة رسلهم فكذبوا وأصروا كما تقدم . وهذه الأمم الظالمة الفاجرة المعنية بالسؤال فيها كثير من المؤمنين بالله الذين يدعونه رغباً ورهباً بقدر معرفتهم به ، وفيها كثير من مبغضي الظلم والبغي الذين ينكرون على دولهم ما يعرفونه منه ، ولوجود هؤلاء الأحرار الذين يأمرون بالعدل وينكرون الظلم والبغي على دولهم قد أتقن رجال السياسة الاستعمارية [illegible] وتصوير الحقائق بغير صورها ، وتؤيدهم الجرائد ويشيدها المنافقون من الشعوب [illegible] ثم إن لهؤلاء الظالمين للشعوب حسنة أخرى وهي ترقية العمران

ووراء ذلك سبب آخر مانع من إهلاكهم وهو فساد أخلاق المظلومين ، ولا سيما حكامهم الأصليين ، فما سلبهم الله الملك إلا بظلمهم ، ومثلهم من يستخدمهم الأجانب لتمكين سلطتهم في بلادهم ، ولو شئنا لذكرنا أسماء كثير منهم ، وقد سلب الله ملك بني إسرائيل الذين كان فضلهم على العالمين بأيدي البابليين الوثنيين ، فعدل الله بالانتقام من الأمم الظالمة قد يكون بأمم كافرة هي أقرب إلى العدل والإصلاح في الدنيا ممن سلطهم عليهم كما ترى بيانه في أول سورة الإسراء ، وهو تعالى غير مقيد بالألقاب ، وليس في حكمه بين عباده محاباة لبعض الناس على بعض ، كما توهم اليهود الفاسدون من قبل ، والمسلمون من بعدهم ، قد قال تعالى (١١: ١١٧ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) أي ما كان من شأنه ولا من سنته في خلقه أن يهلك الأمم بظلم منه وقيل بشرك منهم والحال أنهم مصلحون في أحكامهم وأعمالهم كما سيأتي بيانه في آخر هذه السورة

وقد كان المؤمنون من أهل مكة المختلطون بالمشركين فيها عددا قليلا ، وكان من أسباب قبول النبي ﷺ لعقد معاهدة الصلح في الحديبية كما قال تعالى (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أي لو تميزوا وأمكن وقايتهم لسلطناكم على الذين كفروا وحدهم ، وقد فصلنا هذه المسائل في مواضع من هذا التفسير ومن مجلة المنار بدلائل القرآن والاحاديث الصحيحة فندنا بها شبهات الملاحدة الذين يحتجون على الاسلام بقوة الافرنج وتعاليم الاسلام حجة عليهم ، ونلخص هذا الموضوع بالمسائل الآتية :

سنة الله في ابتلاء الامم بالنعم والنقم

(١) ان الله ما وعد المؤمنين النصر وحسن العاقبة في الامور بالخوارق ، وتبديل السنن العامة في التكوين محاباة لهم وكرامة على إعمالهم ، وإنما وعدهم بذلك لأنه أثر طبيعي تقتضيه سنته لما [illegible] من العدل والفضل والقصد في الامور والتزام الحق والاعمال الصالحة ، أي التي تصلح بها أنفسهم وأمورهم العامة ، فتجتمع لهم [illegible] ، ويريدهم الله عليها التوفيق لهم والخذلان لاعدائهم ، والآيات في هذا كثيرة يراجع أظهرها وأجمعها في خلاصة سورة الانفال من جزء التفسير العاشر وسورة التوبة من الجزء الحادي عشر

وتحقيق الحق في هذه المسألة ان عدل الله العام في خلقه ليس منوطا بأماني المسلمين وغرورهم بجنسية دينهم مع ترك هدايته : ولا بأماني أهل الكتاب وغيرهم بل هو كما قال (٤ : ١٢٣ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب : من يعمل سوءا يجز به ، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ١٢٤ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا)

أخرج ابن جرير عن مسروق وقتادة والسدي وأبي صالح أنهما ين الآيتين نزلتا في ناس من اليهود والنصارى والمسلمين تفاضلوا كل يزعم أنه أفضل ، وانما الدين عند الله إيمان صحيح وعمل صالح ، لا عصبية جنسية ، وسنته في الرزق لا تتغير ولا تتبدل لأجل الالقاب ولا محاباة فيها بين العباد ، وإنما نصر الله رسله

والذين آمنوا معهم ومن بعدهم لاقامتهم الحق والعدل ، ولما قصر الصحابة في نظام الحرب في غزوة أحد وخالفوا القائد الاعظم وهو رسول الله ﷺ عاقبهم الله بالهزيمة بعد النصر حتى ان الرسول نفسه أصيب فشج رأسه وكسرت سنه ، ولما استغرب الصحابة هذا بعد ما رأوا من نصره العجيب لهم يوم بدر أنزل الله تعالى (٤ : ١٦٥ أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شيء قدير) وقال قبل هذا في أول الكلام على هذه الغزوة (١٣٧ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فعل ربهم بهم هذا في عهد المعجزات تربية لهم لكيلا يستولي عليهم الغرور وينسوا سنة الله وعدله في خلقه ، وقد نصرهم قبل ذلك وبعده كما وعدهم بقوله (٤٧ : ٧ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقوله (٢٢ : ٤٠ ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز)

وقد كان علماء الصحابة يعلمون هذا فلا يغترون بصحة دينهم بل يرجون الله باقامته ، ولا يغترون بصحبة خير خلقه وخاتم أنبيائه ورسله ، بل يطلبون فضل الله باتباعه ، واعتبر عا أوصى به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما حين أمره على جيشه لقتال الفرس فقد قال فيه :

« لا يغرنك من الله ان قيل خال رسول الله ﷺ وصاحب رسول الله ﷺ فان الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكنه يمحو السيء بالحسن ، وليس بين الله وبين أحد نسب الا طاعته . فالناس في ذات الله سواء . الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الامر الذي رأيت رسول الله يلزمه فالزمه » اهـ كان سعد (رض) من أخوال النبي ﷺ أي خؤولته فانه كان من بني زهرة وأم النبي ﷺ منهم وفي حديث غريب عند الترمذي عن جابر قال : أقبل سعد فقال النبي ﷺ هذا خالي فليرني امرؤ خاله »

فوز الامم بالثروة والملك ثمرة أعمالها

(٢) ان الفوز في الدنيا بسعة الرزق والثروة وعزة الملك وقوة السلطان هو ثمرة أعمال الأمم بمقتضى نظام الاسباب والمسببات الفنية والسنن الاقتصادية والاجتماعية فيها ، والخيبة والضعف والفقر والذل هو جزاء الجهل والكسل والتواكل ،

وهذا مطرد في الشعوب والأمم أغلبي في الافراد ، ولا تأثير للايمان في هـذا وذلك إلا بقدر ما يكون له من التأثير في حسن الأعمال ومكارم الاخلاق من الصبر والرفق والاقتصاد والتعاون والامانة مع إتقان الأسباب وموافقة السنن العامة فيها كما بيناه في تينك الخلاصتين وفي مواضع أخرى من تفسير الآيات فيهما ، وقد ثبت بتجارب الافرنج ان المؤمنين بالله المجتنبين للمعاصي أصبر في الحرب ، والصبر أعظم أسباب النصر

الجزاء المطرد على الايمان جزاء الآخرة

(٣) ان الجزاء المطرد للافراد على إيمانهم وكفرهم والاعمال المترتبة عليهما انما يكون في الآخرة لأن الدنيا متاع قليل قصير الأمد وجزاء الآخرة هو التام الدائم والآيات في هذا كثيرة معروفة ، ولولا خشية افتتان الناس في الدنيا لجعل الله نعيمها وسعتها للكافرين وحدهم كما قال (٤٣ : ٣٣ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ٣٤ ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ٣٥ وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين)

اختبار الله عباده بالنعم والنقم

(٤) ان الله تعالى يبتلي - أي يختبر - عباده المؤمنين الصالحين الاخيار، والمجرمين الاشرار ، بكثير من مصائب الدنيا التي تحدث بالاسباب العامة ، وبالأسباب الخاصة التي تحدث بكسبهم وظلمهم، فالمؤمن البصير يراها تربية وتهذيبا وتمحيصاً له تزيده إيمانا وبصيرة فتكون كفارة لسيئاته ، وسببا لارتقائه قال تعالى للمؤمنين (٣ : ١٨٦ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا . وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور) وأما الكافر فتزيده سخطا على الله وكفرا به بانكار وجوده أو نسبته إلى الظلم

وانه ليبتليهم بالحسنات والنعم ، فأما المؤمن فيشكر له نعمته بزيادة الايمان به والحمد له والنفع لعباده ، وأما الكافر فيدعي انه أوتيها بعلمه ومعارفه ، ويقسى

فضل ربه الذي أعطاه العلم والمعرفة وسخر له الاسباب ، ويزداد فجورا وفسادا وبغيا في الارض ، والشواهد على هذا في الكتاب العزيز كثيرة ، ومن أظهرها ما ضربه في آخر سورة القصص (٢٨) من مثل قارون إذ نهاه قومه عن فرح البطر والفساد في الارض ، وأمروه بابتغاء الدار الآخرة مع الدنيا فرد عليهم بما أبطله الله بقوله (٧٨ قال انما أوتيته على علم عندي . أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ، ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون ٧٩ فخسفنا به وبداره الارض) الخ فحاله هذه من البطر والغرور هي ما نرى عليه أكثر أغنياء الشعوب والدول القوية في عصرنا ، ولولا انه يوجد فيهم كثير من الشاكرين المحسنين لخسف بهم الارض كما خسفها به وسنزيد مسألة الغرور والقوة بيانا بعد



استمساك الافرنج بدينهم وبذلهم له

(٥) يظن كثير من المتعلمين في البلاد الاسلامية أن هذه الشعوب الاوربية لا تؤمن بالله ولا تعمل عملا من أعمال البر والخير ويتعجبون من نعمه عليهم بسعة الرزق وكثرة المال وعظمة السلطان ولا سيما سلطانهم على أكثر الشعوب الاسلامية ، ومن ملاحدتنا من يعد هذا حجة على إلحاده ، ولئن خبروهم وعرفوا دخائل تربيتهم وأعمالهم ليرون أن عندهم من البر وعمل الخير الذي دعا اليه جميع أنبيائه ورسله ما لا نظير له في أكثر بلاد المسلمين التي تغلبوا عليها

يقول الله تعالى (٣:١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) ويقول (٥:٨٧ لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ٧٩ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وورد في هذا المعنى من الاحاديث ما ورد ومنه ان ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تعاقب عليه الامة بالعقاب العام. وما أمرنا الله بشيء يقوم به أمة أي جماعة إلا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لما يقتضيه تنفيذه من التعاون، فليخبرني علماء العصر في الجامع

الازهر بمصر وجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس وجامع النجف بالعراق وغيرهم من أمصار المسلمين أين هذه الامة منهم وماذا عملت، ولماذا ساط الله الافرنج على أشد المسلمين فسوقا عن دينهم الافسق فالافسق وان كان أغنى في الدنيا وأعلم

وأما أوربة وأمريكة فان جمعياتهم التي تدعو الى دينهم قد ملأت الارض وهي مجدة في تنصير جميع أهلها، وتنفق في هذه السبيل الملايين من الدنانير التي يتبرع بها المتدينون من أهلها الذين نظن انهم كادوا يخرجون عن كونهم شعوبا كتابية الى شعوب إباحية، وان من جماعاتهم الخيرية الكثيرة جماعة بل جيشا كبيراً يسمى (جيش الخلاص) أسسه القائد بوث في انكلترة سنة ١٨٦٤ لمساعدة الفقراء ومقاومة الاخلاق الفاسدة في الرجال والنساء والسعي لتربية الاطفال تربية صالحة ، وإيواء العجزة والمقعدين والعميان، وقد صار لهذا الجيش عشرون ألف فرع، وأنشأ ألفي ملجأ ومعهد أوى اليها في خمسين سنة خمسة عشر مليون نفس. فانه انتقل الى أطفال [illegible]

وهذه فرنسة [illegible] فيها من التربية الدينية والتحمس الديني في أكثر الشعب ما لا يخطر ببال أهل المسلمين بحال المعصرة كأهل تركية ومصر ، لان أكثر من يؤمها منهم الفساق الذين لا يعرفون فيها الا أمثالهم من أهل الفسق والاباحة، حتى ان فيها من البيوت التي تؤوي المسافرين بالاجرة من لا تقبل سيدتها فيها إلا من يحمل شهادة من قسيس الكنيسة بأنه تقي مواظب على الصلاة

وقد بلغنا من الثقات أنه قلما يوجد امرأة في فرنسة وكذا سائر أوربة تبيت مع أولادها إلا بعد أن تصلي معهم لله تعالى فيكون التوجه الى الله ودعاؤه آخر عمل اليوم والليلة ، فهل يوجد في مصر في الالف من نسائها واحدة تفعل هذا؟

وقد أسس فيها جيش الخلاص قصوراً وملاجيء ومطابخ كثيرة لأعماله الخيرية . حكى سائح شرقي انه بحث عن قائده في باريس (وهو انكليزي الجنس) وسأله عن أصل هذا الجيش وعن سيرته وديانته وثروته فأخبره بأن أمواله كلها من أهل الخير والبر ، وان المؤسس له القائد بوث الانكليزي و كان بروتستنتي

المذهب (قال) ولكننا نحن لسنا متعصبين وكثير من ضباطنا وجنودنا كاثوليك ولكننا لاندعو إلا الى عبادة الله والعناية بمساعدة الفقراء وعمل البر والاحسان الى كل انسان يلجأ الينا من طعام وشراب وفراش وغير ذلك ، ولا نسأل أحداً عن جنسه ولا عن دينه، وذكر له انهم آووا في الشتاء الماضي (سنة ١٩٣٣) في باريس ألوفاً من الرجال والنساء والشبان والاطفال الذين شردتهم الفاقة فباتوا لامأوى لهم وكانوا يبحثون عن فضلات المزابل وما يلقى الى الكلاب ليقتاتوا منه

قال السائح له انك تقول انكم لستم متعصبين وقد رأيت جنود جيشكم تطوف في شوارع باريس تبيع التوراة ، قال لايخفى عليك ان من المستحيل نشر الفضائل بين الناس بدون الاعتماد على دين قويم (أي يدعو اليها ويأمر بها وينهى عن الرذائل) فنحن مع مواساة الفقراء نوقظ شعور الايمان للتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، ولا يمكن هذا إلا بالارشاد الديني، بل بكلام رب العالمين، ومن المعلوم بالضرورة أنهم لايعرفون من كلام الله إلا مافي هذا الكتاب المقدس

المتدينون في أوربة فريقان

(٦) المتدينون في أوربة فريقان : فريق العوام والفقراء الذين قلما يتعلمون غير التعليم الابتدائي ولكن مع تربية مسيحية وتعليم مسيحي، وهؤلاء كلهم تابعون لكنائسهم ، ومقلدون لقسوسهم في كل مايلقنونهم وعندهم من الخرافات الدينية مثل ماعندنا في مصر وأمثالها فالذين يزورون القديسة لورد في فرنسة كالذين يزورون البدوي والدسوقي أو أكثر ، وهم يروون من كراماتها وعجائبها أضعاف مايروي المصريون عن البدوي والدسوقي — وفريق الخواص الذين يتلقون التعليم العالي والتربية الاستقلالية ، وهؤلاء يؤمنون باله واحد لاشريك له، ويتقربون اليه بما يعجبهم من عمل البر والاحسان، ويعتقدون أن المسيح عليه السلام نبي ليس باله ولا رب للعباد ، ولا ابن لله إلا بالمعنى المجازي الذي يقولونه في صلاتهم الربانية

ولو بلغ هؤلاء دين الاسلام بنصوص القرآن دون نظريات المتكلمين على الوجه الذي شرحناه في كتاب الوحي المحمدي وغيره لأسلم اكثرهم كما أسلم الالوف

والوف الالوف من أبناء دينهم في قرون الاسلام الاولى عند ما كانت الدعوة على وجهها يؤيدها المسلمون بأخلاقهم وآدابهم العالية ، وأحكامهم العادلة، على ان الجرائد تروي لنا انه يسلم في كل عام اناس من كل شعب ولاسيما الاقرب منهم الى التربية الحرة

الجهل بدعوة الاسلام وشروطها والغرور بلقب الدين

(٧) قد يظن الجاهلون بهذا و بالقرآن معاً ان الاسلام يحكم على كل من لا يسمى مسلماً حكماً واحداً سواء بلغته الدعوة الاسلامية على وجهها الحق أم لم يبلغه عنها شيء، كأكثر عوام الامم، أو بلغته مقلوبة مشوهة ممن قال الله فيهم (يبغونها عوجا) كالذين يأخذونها عن أعداء الاسلام في الدين كدعاة النصرانية (المبشرين) أو في السياسة كرجال الاستعمار، ولكن القرآن لم يحكم على جميع أهل الكتاب في عصر التنزيل حكماً واحداً، بل قال (ليسوا سواء) وحكم في بعض الآيات على أكثرهم وعلى الكثير منهم، واستثنى في بعض أحكامه عليهم بالعموم فقال (إلا قليلا منهم) وقال (وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) وقال في تعليل الاذن للمسلمين بالقتال (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) فالصوامع معابد الرهبان والبيع كنائس النصارى عامة والصلوات كنائس اليهود، وقد وصفهم الله بأنهم يذكرون فيها اسمه كثيراً على ما أسنده اليهم من اتخاذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وغير ذلك مما خالفوا فيه تعاليم أنبيائهم ، وما كانوا في هذا فيما مضى وما هم فيه الآن سواء، أفتظنون ان الله يهلك بالطوفان أو القحط أوغيره أمة فيها الالوف الكثيرة من الذين يذكرونه كثيراً ويتحرون الانصاف بما وصف به أهل البر من الايمان بالله ورسله والملائكة والنبيين وإيتاء أولي القربى واليتامى والمساكين والسائلين وغير ذلك ؟

أم تظنون ان الله تعالى يحابي من سموا أنفسهم مسلمين في الدنيا والآخرة وان اتخذوا له أنداداً يحبونهم كحب الله أي من جنس حبه وهو حب من يملك نفعهم وكشف الضر عنهم من غير طريق سنته تعالى في الاسباب والمسببات ، ويدعون غيره في السراء والضراء حتى الشدائد وقد أخبر عن مشركي العرب أنهم كانوا يدعونه فيها وحده مخلصين له الدين ، وينذرون لغيره ويقربون لهم القرابين

ويحلفون لهم فيبرون ، ويحلفون بالله فيحنثون ، ويتركون الصلاة ويمنعون الزكاة ويخرجون مع أزواجهم وبناتهم ونساءغيرهم عاريات الابدان كلها إلا قليلا من نسيج رقيق أو صفيق ، ويشربون الخمور على موائدهم في بيوتهم وفي الحانات العامة ويصرون على ذلك كله بل أكثر هذا الفريق من أدعياء الاسلام يستحلونه لا يشعرون بأنه إثم يتاب منه؟

كذلك كان اليهود والنصارى مغرورين بعصبية دينهم والنسبة إلى أنبيائهم وإن خالفوا هدايتهم إذ حكى الله تعالى عنهم (٢: ١١١ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى — ورد عليهم بقوله — تلك أمانيهم) وقال (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) الخ وإذ حكى عنهم (٥: ١٨ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) وهكذا قال في سلفنا وسلفهم (٤: ١٢٣ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا) كما تقدم

حاسبوا أنفسكم أيها المسلمون الجغرافيون واعرفوا بم سلط الله عليكم هؤلاء الاقوام فسلبوكم جل ممالككم وهو يقول (٣٠: ٤٧ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) ويقول (٤: ١٤٠ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) لقد صدق الله وكذب كل من يخالف كلامه منكم ومن غيركم

تأملوا في حالكم وحالهم: أليست حكوماتهم خيراً لهم من أكثر حكوماتكم لكم؟ أليست شعوبهم خيراً لأنفسها منكم لأنفسكم ؟ أليس بعض المستعلين عليكم منهم أهون ظلماً وأقل شراً منكم لأنفسكم ؟ بلى (١٠: ٤٣ ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون)

ثم تأملوا تجدوا ان الذين حفظ الله لهم عزة الاسلام الى اليوم ولم يسلط عليهم هؤلاء المستذلين هم أقل ممن سلطهم عليهم مالا وقوة آلية ، وعلما بالفنون والعلوم العصرية التي بها كان الافرنج أقوياء ، وهذه عبر قد بيناها في مواضع من المنار

(خاتمة البحث في الحث على التوبة)

(العقاب الالهي واقع ماله سواه من دافع والمتاب الى الله نافع والغرور بالعلم مانع)
(وعلم البشر بالغيب محال . وطلب السعادة بغير الدين ضلال)

أجمعت الامم المتدينة على ان الله تعالى يعاقب البشر في الدنيا قبل الآخرة ببعض ذنوبهم ، واتفقت آثار الامم القديمة في حادثة الطوفان على انه كان عقابا من الله تعالى للبشر بما فشا فيهم من الظلم والفساد في الارض ، وقد اشتهر هذا في الامم حتى صار العلماء والادباء يتوقعون نزول المصائب والنوازل في الامم التي يكثر فيها الفجور والظلم ومنه قول الحكيم العربي أبو العلاء المعري:

والارض للطوفان مشتاقة لعلها من درن تغسل

ومن فوائد الدين لأهله أنهم عند وقوع النوازل والجوائح يذكرون الله تعالى ويتوبون اليه كما أمروا ويتضرعون اليه أن يرفعها عنهم ، ومن ذلك صلاة الاستسقاء، وما شرع فيها من أسباب الخشوع ، وصدق التوجه، وقد جرب إخراج البهائم الى المصلى فكان لرغائها وثغائها وخوارها تأثير في الخشية والخشوع، وكأين من استسقاء قبله الله واستجاب دعاء أهله المخلصين فسقاهم الغيث

تواترت الاخبار عن جميع أقطار أوربة أنهم في أثناء الحرب العامة الطامة تجدد في قلوبهم الشعور بالخوف من الله تعالى والضراعة له حتى كانت تغص المعابد بالمصلين ، وأنه حدث بعد الحرب وعودة الرخاء بعد الشدة ما يسمى برد الفعل، وأنه ما زال الفسوق والفجور يزداد حتى كاد يكون إباحة عامة . وهذا مصداق لقوله تعالى بعد بيان هذه الحقيقة وما ضربه لها من المثل (١٠: ٢٣ فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الارض بغير الحق ، يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا) الخ فجزاهم ببغيهم وضاعف عليهم النوازل والجوائح في هذا العام ، ولم يبلغنا عن شعب من شعوبهم أنهم تابوا وأنابوا الى ربهم وسألوه رفع العذاب عنهم

قلنا آنفا ان أكبر الاسباب لهذا الضلال غرور أهل هذا العصر بالعلم الناقص الذي يعللون به وقوع هذه النوائب ، وهذا ما حكاه الله تعالى عن أمثالهم من

أهل القرون الخالية ونقله مفسرونا عن ملاحدة زمانهم ، ولكنه كان قليلا فكثر حتى خشي أن يكون عاما ، على انه قد ثبت أن جميع البشر لا يزالون يجهلون أسباب هذه المصائب واشتدادها في بعض الازمنة والامكنة دون بعض ، وحال الاقوام الذين تشهد فيهم ، وقد أمر الله رسوله أن يقول (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) وأشد الناس غروراً بالعلم في هذا العصر أقلهم علماً كالمتفرنجين من ملاحدة بلادنا .

قال الله تعالى (٣٩: ٤٩ فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لايعلمون ٤٠ قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ٤١ فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وماهم بمعجزين)

صدق الله العظيم . ان المصائب تتوالى عليهم فان لم يتوبوا خشي أن تكون عامة وإن كان فيهم بقية من الصالحين باقية . فقد قيل يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال « نعم إذا كثر الخبث »

لقد شعر أهل علماء الافرنج بأن علومهم العصرية لا تصلح فساد الانفس البشرية ، وصرحوا في هذه السنة بأن تربية المدارس وتعليمها والعلوم الكسبية على سعتها لاتغني عن الايمان والتربية الدينية

بيد أن أكثر أهل هذه البلاد لايلتفتون الى أقوال هؤلاء العلماء الاعلام ، لان القاعدة المسلمة عندهم بالتقليد أن جميع علماء الافرنج لا يقيمون للدين وزناً ، بل يعتقدون أنه ضار ، وقد أخبرني أحد رجال الحكومة المصرية الذين يصلون - وقليل ماهم - أنه قلما رآه أحد منهم يصلي إلا وعجب منه وأظهر له عجبه، وقال له مرة أحد أبناء الوزراء وهل بقي أحد يصلي في هذا الزمان ؟ على أنه بلغني أن والد هذا القائل كان يصلي !!

وانتا نعلم أن أكابر الافرنج واليهود في مصر يواظبون على الصلاة في كنائسهم ولا نكاد نرى من باشواتنا ومن يليهم من كبار الحكومة أحداً في مساجدنا ، وشر من ذلك أن وزارة المعارف لاتأمر تلاميذ مدارسها بالصلاة فيها ، ومثلها مدارس

الاوقاف الملكية في هذا ، فما معنى نص الدستور المصري ان دين حكومته الاسلام؟ وهي تبيح مع هذا جميع ماتبيحه الحكومات اللادينية من الآثام؟

قد كان عقاب الله لمصر في هذا العام قليلاً كثره نقص الزراعة ولكن تأخر طيع ما تقدم حتى ظهر من طغيان النيل ما كنت أخشاه وأحدث به من أعوام ولا حول ولا قوة إلا بالله

وأنا أدعو جميع الامم وأخص بالدعوة أمتنا ولا سيما أهل وطننا هذا (مصر) الى التوبة الى الله واستغفاره مما سلفوا فيه من الاسراف في الفسق والفساد ، وأن يتضرعوا اليه وحده مخلصين له الدين ، دون التوجه الى أحد من عباده الصالحين معه ، أن يرفع عنهم البلاء والنقم ، ويحفظ عليهم النعم (٩: ٧٤ فإن يتوبوا يك خيراً لهم ، وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير)

فتاوى المنار

{ اتهام ابن تيمية [illegible] كنزولي الخ }

(س١٤) من صاحب [illegible] وكيل المنار هذا نصه:

سيدي المحترم

سلام عليك وتحية طيبة بمقدار ما للمنار من الفضل على المسلمين قاطبة.

وبعد فأرجو أن تطالع ما أرفقته بهذا — وتوافقني على تقديمه ورفعه الى حضرة المصلح العظيم العالم العامل صاحب الفضيلة السيد رشيد رضا حفظه الله. حتى ينظر فيه ويرى ما يراه ، وهو الموفق للصواب دائما

واذا حسن لدى فضيلته أن يذكر كلاما فاصلا في هذا الموضوع في المنار الاغر، كانت الفائدة عامة للناس أجمعين ، ومن بينهم من وزع عليهم المهذب في المدارس

واسأل الله أن يطيل عمر السيد ليزداد المسلمون من الارتشاف من بحر علمه إيمانا ومعرفة ، والسلام عليك ورحمة الله من المخلص عبد القادر حلمي

في صحيفة ٧٦ من مهذب رحلة ابن بطوطة — الجزء الاول — الذي طبعته وزارة المعارف المصرية ووزعته على تلاميذ المدارس الثانوية مانصه:

وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام يتكلم في الفنون إلا ان في عقله شيئاً الخ

وفي الصحيفة ٧٧ فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه أن قال : ان الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر — فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء الخ

فهل صح في تاريخ ابن تيمية أن يقول هذا ؟ وهل هناك شك في ان قائل هذا ينسب لله الجسمية وانه بذلك انسلخ من الايمان والاسلام ؟

جواب المنار

(١٤) اتهام ابن تيمية بتشبيه نزول الله بنزوله في المنبر

هذه التهمة باطلة قطعا كما يعلم من كتب شيخ الاسلام وفتاويه الكثيرة في مسألة الصفات وحديث النزول، ولكن يظهر أن هذه الشبهة أثارتها، فقد رأيت في بعض الكتب (كتاب الزوائد [illegible]) [illegible] في حديث النزول وهو يخطب على المنبر [illegible] ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ بدون تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل [illegible] فقال ما معناه انا نؤمن بنزوله بالمعنى الذي أراده اللائق به بلا تشبيه « لا كنزولي هذا » فزعم بعض الناس أنه قال « كنزولي هذا » لانه لم يسمع كلمة « لا » وربما كان منهم ابن بطوطة ثم أذاع هذا خصومه المخالفون للسلف ولو صح زعمهم لقامت عليه قيامة أهل المسجد وأنزلوه عن المنبر مهيناً مذموما بكل لسان ، إلا أن يقال إنهم كانوا موافقين له على رأيه إلا واحداً منهم هو ابن الزهراء الذي ذكره ابن بطوطة وكم في رحلة ابن بطوطة من الاكاذيب والخرافات ، ويحتمل أن يكون قال الكلمة في تفسير المعنى اللغوي ، وستنقل عنه تحقيقه لعدم اقتضائه التشبيه

ولابن تيمية كتاب مستقل في حديث النزول هو جواب سؤال رفع اليه فأطال في الجواب منه لأن المسألة فرع من عقيدة إثبات الصفات التي أجمع عليها سلف الامة بالقاعدة التي ذكرناها آنفاً، وأما نفيها فقد ابتدعته الجهمية والمعتزلة وغيرهم من المبتدعة واختلف نظار المتكلمين في تأويل بعضها دون بعض، وهذا الكتاب

مطبوع في الهند واني أنقل منه بعض عباراته بحروفها مبتدئا بنص السؤال وهو:

﴿ نص الاستفتاء في حديث النزول ﴾

« ما يقول سيدنا وشيخنا شيخ الاسلام ، وقدوة الانام ، أيده الله ورضي عنه ، في رجلين تنازعا في حديث النزول : أحدهما مثبت والآخر نافٍ ، فقال المثبت : ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر . فقال النافي : كيف؟ فقال المثبت : ينزل بلا كيف ، فقال النافي : يخلو منه العرش أم لا يخلو؟ فقال المثبت : هذا قول مبتدع ، ورأي مخترع ، فقال النافي ليس هذا جوابي بل هو حيدة عن الجواب . فقال له المثبت : هذا جوابك . فقال النافي : إنما ينزل أمره ورحمته . فقال المثبت : أمره ورحمته ينزلان كل ساعة ، والنزول قد وقّته رسول الله ﷺ ثلث الليل . فقال النافي : الليل لا يستوي وقته في البلاد فقد يكون الليل في بعض البلاد خمس عشرة ساعة ونهارها تسع ساعات ويكون في بعض البلاد ست عشرة ساعة والنهار ثماني ساعات وبالعكس ، فوقع الاختلاف في طول الليل وقصره بحسب الاقاليم والبلاد وقد يستوي الليل والنهار في بعض البلاد وقد يطول الليل في بعض البلاد حتى يستوعب أكثر الاربع والعشرين ساعة ويبقى النهار عندهم وقتا يسيرا . فيلزم على هذا أن يكون ثلث الليل دائما ويكون الرب دائما نازلا الى السماء ، والمسئول إزالة الشبه والاشكال ، وبيان الهدى من الضلال »

﴿ جواب شيخ الاسلام أو جزء منه ﴾

« فأجاب رضي الله عنه فقال الحمد لله رب العالمين . أما القائل الاول الذي ذكر نص النبي ﷺ فقد أصاب فيما قال ، فان هذا القول الذي قال قد استفاضت به السنة عن النبي ﷺ واتفق سلف الامة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول . ومن قال ما قاله الرسول ﷺ فقوله حق وصدق وإن كان لا يعرف حقيقة ما اشتمل عليه من المعاني كمن قرأ القرآن ولم يفهم ما فيه من المعاني ، فان أصدق الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، والنبي ﷺ قال هذا الكلام وأمثاله علانية وبلغه الامة تبليغا عاما لم يخص به أحداً دون أحد ولا كتمه عن أحد وكان الصحابة والتابعون تذكره وتأثره وتبلغه وترويه في

المجالس الخاصة والعامة ، واشتملت عليه كتب الاسلام التي تقرأ في المجالس الخاصة والعامة كصحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك ومسند الامام أحمد وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وأمثال ذلك من كتب المسلمين

لكن من فهم من هذا الحديث وأمثاله ما يجب تنزيه الله عنه كتمثيله بصفات

المخلوقين ووصفه بالنقص المنافي لكماله الذي يستحقه فقد أخطأ في ذلك، وإن أظهر

ذلك منع منه، وان زعم ان الحديث يدل على ذلك ويقتضيه فقد أخطأ أيضا في ذلك، فان وصفه سبحانه وتعالى في هذا الحديث بالنزول هو كوصفه بسائر الصفات كوصفه بالاستواء إلى السماء وهي دخان ووصفه بأنه خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، ووصفه بالاتيان والمجيء في مثل قوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) وقوله (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) وقوله (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) وكذلك قوله تعالى (خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) وقوله (والسماء بنيناها بأيد) وقوله (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء) وقوله (يدبر الامر من السماء إلى الارض ثم يعرج إليه) وأمثال ذلك من الافعال التي وصف الله تعالى بها نفسه التي تسميها النحاة أفعالا متعدية وهي غالب ماذكر في القرآن ، أو يسمونها لازمة لكونها لا تنصب المفعول به بل لا تتعدى اليه إلا بحرف الجر كالاستواء إلى السماء، وعلى العرش ، والنزول إلى السماء الدنيا ونحو ذلك فان الله وصف نفسه بهذه الافعال

ووصف نفسه بالاقوال اللازمة والمتعدية في مثل قوله تعالى (وإذ قال ربك للملائكة) وقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) وقوله تعالى (وناداهما ربهما) وقوله تعالى (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) وقوله تعالى (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) وقوله تعالى (الله لا إله إلا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لاريب فيه ومن أصدق من الله حديثا) وقوله (الله نزل أحسن الحديث) وقوله (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا) وقوله (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) وقوله (ولقد صدقكم الله وعده)

وكذلك وصف نفسه بالعلم والقوة والرحمة ونحو ذلك كما في قوله (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) وقوله (أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) وقوله (ورحمتي وسعت كل شيء) ونحو ذلك مما وصف به نفسه في كتابه وما صح عن رسوله ﷺ

فان القول في جميع ذلك من جنس واحد ومذهب سلف الامة وأئمتها أنهم يصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ في النفي والاثبات، والله سبحانه وتعالى قد نفى عن نفسه مماثلة المخلوقين فقال الله تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد * ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد) فبين أنه لم يكن أحد كفوا له وقال تعالى (هل تعلم له سميا) فأنكر أن يكون له سمي، وقال تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً) وقال تعالى (فلا تضربوا لله الامثال) وقال تعالى (ليس كمثله شيء) فيما أخبر به عن نفسه من تنزيهه عن الكفو والسمي والمثل والند وضرب الامثال [illegible] بيان أن لا مثل له في صفاته ولا أفعاله، فان التماثل في الصفات والافعال يتضمن التماثل في الذات، فان الذاتين المختلفتين يمتنع تماثل [illegible] والافعال يستلزم تماثل الذوات، فان الصفة [illegible] بل هو مما يوصف به الفاعل، فاذا كانت الصفتان متماثلتين كان الموصوفان متماثلين حتى انه يكون بين الصفات من التشابه والاختلاف بحسب ما بين الموصوفين كالانسانين لما كانا من نوع واحد فتختلف مقاديرهما وصفاتهما بحسب اختلاف ذاتيهما ويتشابه ذلك بحسب تشابه ذلك»

«فالقول في صفاته كالقول في ذاته، والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، لكن يفهم من ذلك ان نسبة هذه الصفة إلى موصوفها كنسبة هذه الصفة إلى موصوفها، فعلم الله وكلامه ونزوله واستواؤه هو كما يناسب ذاته ويليق بها، كما أن صفة العبد هي كما يناسب ذاته وتليق بها، ونسبة صفاته إلى ذاته كنسبة صفات العبد الى ذاته، ولهذا قال بعضهم: اذا قال لك السائل: كيف ينزل؟ أو كيف استوى؟ أو كيف يعلم أو كيف يتكلم ويقدر ويخلق؟ فقل له كيف هو في نفسه؟ فاذا قال أنا لا أعلم كيفية ذاته، فقل له وأنا لا أعلم كيفية صفاته، فان العلم

بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف، فهذا إذا استعملت هذه الأسماء والصفات على وجه التخصيص والتعيين وهذا هو الوارد في الكتاب والسنة »

وقال في موضع آخر

« ثم ان الله سبحانه وتعالى أخبرنا بما وعدنا به في الدار الآخرة من النعيم والعذاب ، وأخبرنا بما يؤكل ويشرب وينكح ويفرش وغير ذلك، فلولا معرفتنا بما يشبه ذلك في الدنيا لم نفهم ماوعدنا به ، ونحن نعلم مع ذلك ان تلك الحقائق ليست مثل هذه حتى قال ابن عباس ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء . وهذا تفسير قوله (وأتوا به متشابها) على احد الاقوال، فبين هذه الموجودات في الدنيا وتلك الموجودات في الآخرة مشابهة وموافقة واشتراك من بعض الوجوه وبه فهمنا المراد وأحببناه ورغبنا فيه، وبينهما مباينة ومفاضلة لا يقدر قدرها في الدنيا، وهذا من التأويل الذي لا نعلمه نحن بل يعلمه الله تعالى . ولهذا كان قول من قال: ان المتشابه لا يعلم تأويله الا الله حقا ، وقول من قال ان الراسخين في العلم يعلمون تأويله حقا ، وكلا القولين مأثور عن السلف من الصحابة والتابعين لهم باحسان

« فالذين قالوا انهم يعلمون تأويله مرادهم بذلك أنهم يعلمون تفسيره ومعناه والا فهل يحل لمسلم أن يقول ان النبي ﷺ ماكان يعرف معنى مايقوله ويبلغه من الآيات والاحاديث بل كان يتكلم بألفاظ لا يعرف معانيها ؟ ومن قال انهم لايعرفون تأويله أرادوا به الكيفية الثابتة التي اختص الله بعلمها ، ولهذا كان السلف كربيعة ومالك بن أنس وغيرهما يقولون : الاستواء معلوم والكيف مجهول ، وهذا قول سائر السلف كابن الماجشون والامام أحمد بن حنبل وغيرهم ، وفي غير ذلك من الصفات فمعنى الاستواء معلوم وهو التأويل والتفسير الذي يعلمه الراسخون، والكيفية هي التأويل المجهول لبني آدم وغيرهم الذي لا يعلمه الا الله ، وكذلك ماوعد به في الجنة، تعلم العباد تفسير ما أخبر الله به وأما كيفيته فقال تعالى (فلا تعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح «يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » فما أخبرنا الله به من صفات المخلوقين نعلم تفسيره ومعناه

ونفهم الكلام الذي خوطبنا به ، ونعلم معنى عسل واللحم واللبن والحرير والذهب والفضة ، ونفرق بين مسميات هذه الاسماء . وأما حقائقها على ماهي عليه فلا يمكن أن نعلمه نحن ولا يعلم متى تكون الساعة . فتفصيل ما أعد الله عز وجل لعباده لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، بل هذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى

فاذا كان هذا في هذين المخلوقين فالامر في الخالق والمخلوق أعظم ، فان مباينة الله لخلقه وعظمته وكبريائه وفضله أعظم وأكثر مما بين مخلوق ومخلوق ، وإذا كانت صفات ذلك المخلوق مع مشابهتها لصفات هذا المخلوق بينهما من التفاضل والتباين ما لا نعلمه في الدنيا ولا يمكن أن نعلمه ، بل هو من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى ، فصفات الخالق عز وجل أولى أن يكون بينها وبين صفات المخلوق من التباين والتفاضل ما لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى وأن يكون هذا من التأويل الذي لا يعلمه أحد إلخ

ثم تكلم في موضع آخر عن الوجود القديم الواجب والوجود الحادث الممكن وصفاتهما والغلط في القول بالتلازم في النفي والإثبات وضرب له المثل فقال

«ومثال ذلك أنه إذا قال النزول والاستواء ونحو ذلك من صفات الاجسام فانه لا يعقل النزول والاستواء إلا لجسم مركب والله سبحانه منزه عن هذه اللوازم فلزم تنزيهه عن الملزوم ، أو قال هذه حادثة والحوادث لا تقوم إلا بجسم مركب ، وكذلك إذا قال الرضا والغضب والفرح والمحبة ونحو ذلك هو من صفات الاجسام فانه يقال له : وكذلك الارادة والسمع والبصر والعلم والقدرة من صفات الاجسام ، فانا كما لا نعقل ما ينزل وما يستوي ويغضب ويرضى إلا جسما لم نعقل ما يسمع ويبصر ويريد ويعلم ويقدر إلا جسما ، فاذا قيل سمعه ليس كسمعنا وبصره ليس كبصرنا وإرادته ليس كارادتنا وكذلك علمه وقدرته ، قيل له وكذلك رضاه ليس كرضانا وغضبه ليس كغضبنا ، وفرحه ليس كفرحنا ، ونزوله واستواؤه ليس كنزولنا واستوائنا » اه

وجملة القول ان شيخ الاسلام قد بسط في هذا الكتاب وغيره من الدلائل على تنزيه الله عن مشابهة خلقه في ذاته وصفاته وأفعاله ما لم يسبقه أحد إلى مثله مع اثبات ما أثبته لنفسه منها والمنع من تحكيم الرأي في نفيها فانه مما حرمه علينا بقوله (وان تقولوا على الله ما لا تعلمون)

تفسير المنار لعلامة الدهر ومصلح العصر

(بقلم الاستاذ الكاتب المستقل، والباحث المستدل)

الشيخ مصطفى احمد الرفاعى اللبان

رحم الله مفسري القرآن السابقين من أئمة السلفيين، فقد بذلوا ما استطاعوه من قوة لتبيان معاني كلام الله للناس، ووقفوا أنفسهم وحبسوها على إظهار ما فيه من لغة وبيان، وفصاحة وبلاغة، وأدب واجتماع، وتاريخ وحكمة وسياسة، فجزاهم الله عنا خير الجزاء، ووفاهم الله أجرهم موفوراً، وجعل عملهم الخالص مشهوراً مذكوراً.

ولكن القرآن هو كتاب الزمان كله، ودستور الحياة إلى يوم القيامة، تتجلى معانيه بتقدم العلم وبلوغه أشده، وتطور أساليب الاختراعات والاستكشافات، وسلامة الفطر والعقول من النزعات والخرافات، وتشرق حقائقه بزوال العوائق المغشية للابصار و[illegible] التاريخ ولكنها غير ممحصة، لانعدام وسائل التحقيق والتمحيص، وفيها طرف من العلوم المختلفة، ولكنها محشوة بالغلط والشطط لتعسر طرائق التصحيح والتدقيق، وفيها ذكر للتوراة والانجيل ولكنه مبني على فهم غير واقع (١) وعلى ظن تبين الآن أنه غير ناقع، وفيها فقه ولكنه مذهبي، وتوحيد ولكنه كلامي، واستطراد فلسفي، واستقراء غير جلي.

وبهذا صار القرآن في حاجة إلى أن يفسر من جديد، وعادت التفاسير الاولى معرضة للنقد الشديد، فألف الآلوسي تفسيره، ولكنه جعله جامعا لأقوال من سبق مع تعليقات يسيرة، وتحقيقات غير وفيرة، وألف الاستاذ طنطاوي جوهري

(١) المنار: من هذا الفهم المخالف للواقع قول بعضهم ان تحريف أهل الكتاب لكتبهم معنوي خاص بالتأويل لا لفظي لانه لا يعقل أن تتفق أمة على تغيير ما في كتاب ربها. وسبب هذا الفهم عدم اطلاع هؤلاء على تاريخ القوم، واتفاقهم فيه على ان توراة موسى فقدت باحراق هيكل سليمان وان عزرا كتبها بعد ذلك بالالهام الخ ما فصلناه في محله

دلوه في الدلاء ، ولكنه صير تفسيره نباتياً طبيعياً إفرنجياً ، فيه أقوال البارونات والكونتات ، وأحوال النجوم والنيرات ، والصخور والجلاميد والمعادن المدفونات ، وحلاه برسوم وصور لاتتسق مع جلال الذكر الحكيم ، ومكانة القرآن الكريم ، ومع ذلك فهو مستحق للشكران ، قمين بأن ينشر ذكره في كل مكان ، إذ حاول جهده أن يبرهن على عناية القرآن بالعلوم الطبيعية والكيميائية والزراعية والصناعية وما إليها ، ووفق في كثير مما أراد جزاه الله خيراً .

وقد انتظرنا أن يوفق الله رجلا إلى تفسير القرآن الكريم بشرط المحافظة على جلاله وكماله ، والسمو به عما لايليق بمكانته العليا ، وإحاطته بسياج من الحرص والامانة يمنع الخطأ والاسرائيليات والاخبار الداحضة أن تتسرب إليه ، ويحميه من التعصب المذهبي ، والتكلف الكلامي ، وتحميل الآيات الكريمة مالا يوافقها من المعاني الرأية ، والتوضيحات النفسية .

وقد أراد الله أن يظهر هذا التفسير على يد السيد الكريم ، والمجاهد العظيم ، والمصلح الشهير ، والعالم الكبير أستاذنا السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر ، وخليفة الاستاذ الامام الا . وقد صدر من هذا التفسير احد عشر جزءاً ضخاما

تقر بها عين كل مسلم ، وينشرح لها صدر كل مؤمن ، جاءت عندما أملنا ، وفوق ماقصدنا ، وأبانت عن ان الاسلام هو الدين الخالد ، الواجب أن يعنو له البشر طائعين ، فرحين مستبشرين ، إذ هو الذي يحل مشاكل العصر ، ويزيل ماتعانيه الانسانية المعذبة من الضيق والعسر ، ويعالج الادواء التي تشكو منها الامم ، ويعيد للمسلمين مافقدوه من العزة والسلطان وعلو الهمم .

وقد قرأنا هذه الاجزاء الاحد عشر كالكواكب فشكرنا الله كثيراً ، وانزاحت عن نفوسنا غمم كنا نشعر بثقلها ، وقلنا قد آن للمسلمين أن يسروا ويفرحوا ، فقد أنعم الله عليهم بتفسير طالما كانوا يتمنونه ، وكثيراً مارأوه حلماً بعيد المنال ، ولكنه الآن تحقق على أحسن مثال .

جمع هذا التفسير القيم محاسن التفاسير السالفة ونجا من مزالقها ، وخلص من مشاكيها ، وضم بين دفتيه أحسن التحقيقات ، وأتم البيانات ، وأوضح لمن له

عيان ، أن القرآن هو كتاب الله الخالد الذي لاغنى للأمم عنه ، ولا حياة لها بدونه ، ولا مفر لها من اتباعه ، والاستفادة من هدايته، مذعنة مؤمنة، أو مسوقة بحاجتها التي تلح عليها ، فلا تجدلها ملجأ إلا إياه ، ولا معاذاً سواه.

يقرأ المسلم هذا التفسير فيشرق في نفسه نور المعرفة ، وتضيء روحه بشمس التثبت واليقين ، ويعود شخصاً مليئاً بالأمل الواسع ، مغموراً بالفرح الجامع ، شاكراً لربه أن جعله مسلماً مؤمناً من خير أمة أخرجت للناس، ويقرؤه غيره من ذوي البصيرة والمعرفة فيثلج صدره ، وترتاح نفسه ، ويحس بالرغبة في الاستزادة منه، معجباً بالقرآن، وما فيه من علو وعظمة وجلال، ومبادىء تسعد بها جميع الاجيال.

وقد سلط هذا التفسير على جميع الشبهات نوراً كشافاً قوياً ساطعاً فأزالها وأحالها هباء منثوراً ، وحل بمهارة ولباقة وقوة وغيرة وشجاعة وصراحة جميع المعضلات الدينية والدنية والاجتماعية والسياسية، وكان الحل مشبعاً مروياً، مزيلا كل شك وريبة ووهم وظن، لايدع لأحد مسلكا يسلك منه طريق هذه المعضلات مرة أخرى ، وهذه [illegible] إلا في هذا التفسير الجليل.

وإلى القراء [illegible]

(١) بين إعجاز القرآن بياناً شافياً وأظهر أسراره القدسية وأزال الخلافات المذهبية، وجلى الحكمة في الحروف التي تبدأ بها السور الكريمة، وصعد بالقارىء إلى سماء العرفان الصحيح ، والفهم الرائق ، ووضع فهرساً واسعاً لوجوه إعجازه فاذا هي لاتكاد تنحصر اذا وعينا مفرداتها وتفاصيلها، وألمس كل فرد هذه الوجوه بما يجعله واثقاً منها، مؤمنا بها إيماناً موطداً ، لاتعلق به شية[1] من الضعف أو الوهن أو الريبة ، وأثبت أن القرآن لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولو تظاهر عليه جميع الملاحدة والمعطلين والمشركين والكافرين، لأنه بطبيعته الذاتية يغلب كل متظاهر ، ويهزم كل مكابر ، وأورد لذلك شهادات كثيرة للفلاسفة والعلماء والباحثين والمفكرين

---

(١) كذا في الاصل ولعلها شبهة فان الشية بالكسر فعلة من الوشي وقوله تعالى في البقرة (لاشية فيها) معناه ليس فيها لون غير لونها الاصفر الفاقع

(٢) ساق الدلائل العظيمة على خلود هذا القرآن وبقائه إلى يوم القيامة ، واستقراره وثباته كلما تقدمت العلوم ، وارتقت الفنون ، وسارت الامم في سبيل المدنية الفاضلة ، والحضارة الصحيحة ، وأرى كل ذي بصيرة ناقدة كيف أن الامم الغربية لاينقذها من ويلاتها ومشاكلها المعقدة إلا كلام الله المحفوظ من التحريف والتبديل والتغيير والنسيان ، الذي يوافق الزمان والمكان ، ويجد فيه طالب الحق مايشبع نهمته ، ويزجي طلبته ، وذكر نماذج شتى من القرآن لمسائل لم يعرفها العالم إلا في السنوات العشر الاخيرة ، وقال إن ثمت مسائل كثيرة في القرآن يكشفها الزمان تدريجا للدلالة على أنه كتاب الله حقاً

(٣) شرح مبدأ الخلق والتكوين وذكر أحوال الامم وطبقاتها ودرجاتها وعملها في هذه الحياة الدنيا ، وساق أخبارها من أوثق مصادرها ، وفي على ذلك في مواضعه بالبعث والنشور والحساب والعقاب والثواب وأحوال يوم الدين ، وكان في هذه الامور بحثاً دقيقاً يصل بالقارئ إلى [illegible] يستطيع في الوصول اليها أرق عقل وأعظم [illegible] يخرج منها [illegible] الخلق وحكمته ، وتدرج الامم في مدارج الرقي حتى استكملت استعدادها العقلي وقت نزول القرآن وبعثة سيد ولد عدنان ﷺ . وعارفا المعرفة كلها معنى البعث وكيف يكون بالجسد والروح معا ، وما الثواب وما العقاب ، وما الجنة وما النار ؟ ولماذا لاتكون النجاة إلا بالاسلام الحنيف ، الذي جاء به الرسول الشريف .

(٤) تكلم عن الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وذكر قصصهم وتعقب ما في كتب العهد العتيق المسماة بالتوراة من خروج عن الجادة في سرد هذه القصص ، وصحح الخطأ المنتشر فيها وفي كتب التفاسير التي نقلت عنها أو اعتمدت عليها من غير ما تمحيص ولا تدقيق ، وصورهم عليهم السلام بالصورة اللائقة بهم وبعملهم لهداية الامم والشعوب ، ونفى عنهم مانسب ليهم كذبا وغلطا وجهلا ، ونقاهم مما علق بسيرهم الشريفة الطاهرة بسبب العناد والمكابرة والمغالطة والعماية . وبرهن على أن النبي أو الرسول يجب أن يكون

مثال الكمال الانساني ، والقدوة الصالحة في الاقوال والافعال والاعمال ، والاسوة الحسنة في الخير وعمل البر

(٥) دافع عن الاسلام وتعاليمه دفاعا مجيداً منصوراً ، وأزجى الاسباب التي تضمن خلوده وبقاءه ، ودمغ في صدور اليهود والنصارى والملاحدة بما جعلهم ينكشون ويتركون سلاحهم الفلول ، ويعترفون بضعف حججهم وبوار بضاعتهم وكساد سوقهم ، ويقولون بملء أفواههم : اعترفنا بعجزنا وقصورنا وانهزامنا . وأعطى المسلمين الحجج الدامغة التي يستطيعون بها الدفع عن ذمارهم ، والذود عن دينهم ، والنصر على مناوئيهم ، وحقق بما لا مزيد عليه أن الاسلام لا مطعن فيه لطاعن ، ولا مغمز لغامز ، وأن بيته من طود أثبت ، وبيوت غيره من زجاج أضعف ، وأنه لا يليق لصاحب البيت الزجاجي أن يقذف البيت الحجري بالحجارة . وقد أتى الكثيرون من غير المسلمين على مسالكه الراجح ، وأدبه الواضح .

(٦) شق [illegible] ورسم صورة واضحة لهذه المشكلة الدقيقة التي اختلف فيها المفسرون ، وامتدت أقوالهم ، وتباينت آراؤهم ، وعرج على عقيدة النصارى في النسخ فشرحها تشريحا وافياً جامعاً ، وكشف عن خطئهم الدامس فيها ، ووضع أصابع الباحث على عوارها وزيفها ، فأثلج بذلك قلوب المؤمنين ، وأدخل في صدورهم برد اليقين ، ومن اطلع على مسألة النسخ درى مدى التوفيق المعجب في هذا التفسير البديع الذي صار حجة هذا العصر ، وترجمان القرآن ولا فخر .

(٧) فصل الوحي الالهي بما يقنع كل منكر ، ويسلم له كل معاند ، ويعنو لحججه جميع الورى ، ولما وصل إلى الوحي المحمدي كان التفصيل أوسع ، والشرح أمتع ، والدلائل أنصع ، إذ أثبت ببراهين لا تدفع ، أن الوحي المحمدي ثابت بالقرآن ثبوتا لا تعلق به شبهة من الريب عند أي انسان ، وجلى النبوة المحمدية بأوضح بيان ، وبين أنها أصل اثبات النبوات السابقة ، فهي دليلها ومصدقتها والمزكية لها

(٨) كشف فضل الاسلام على جميع الانام ، ونثر الدلائل الكثر من تاريخ الامم الشرقية والغربية ، على ما استفادته من تعاليم الاسلام الخالد في الدين والادب والاجتماع والتشريع ، وشهد به رجالها وفضلاؤها وعلماؤها وفلاسفتها ومفكروها ، وعبد السبل ليفهم القارئ أن العالم كله سائر إلى الاسلام ، إذ الاسلام هو الوسيلة الكبرى لسعادة البشر ، والطريقة المثلى لازالة الخطر

(٩) قارن بين ما في القرآن من التشريع والحكمة والآداب والمبادئ العليا ، وبين ما تتمدح به الامم الحاضرة من قوانينها وحكمتها ومبادئها وآدابها ، وخرج من هذه المقارنة بما يفرح المؤمنين ، ويرفع رءوس الموحدين ، ويجعل القدح المعلى للاسلام ، الذي جاء به خير الانام ﷺ

(١٠) قضى على العنت الذي كان يعانيه القارئ من قراءة التفاسير السابقة ، وجعل له مصباحا كشافا وضاء ينير له السبيل ... ومنارا كنار الطريق ، تقدم بذلك المفسرين أنفسهم ، وقدم للناس حديقة غناء فيها ما تشتهيه نفوسهم الزاكية وفهومهم الواعية

هذا نموذج يسير ... هذا التفسير الشهير الكبير ، فواجب على كل مسلم يحسن القراءة والكتابة في انحاء الارض أن يقتنيه كنزا ثمينا ، وذخرا عظيما ، ودائرة معارف إسلامية نادرة المثال . وليس لأحد يقصر في الحصول عليه عذر ، والسلام على من اتبع الهدى مصطفى أحمد الرفاعي اللبان

(المنار) نشكر لأخينا المقرظ إطراءه لشخصنا الضعيف المبني على حسن الظن ، ونعتذر للقراء عن نشره بحروفه أداء للأمانة على ما فيه من انتقاد كتب التفسير كلها بالاجمال وتخصيص آخرها بالذكر وهو لصديقنا ، وقد سبقنا من قبلنا الى نشر التقاريظ كما ترى في تفسير العلامة الآلوسي وتفسير الامام السيد حسن صديق وغيرهما من كتب المشارقة والمغاربة ، على ان أكثر تقاريظ المعاصرين للكتب شعرية يقرظون بها ما لا يقرءون لا بيان لعقيدة الكاتب وتعبير عن شعوره كهذا التقريظ وما قبله . وما كانا هما بأول من فضل هذا التفسير على غيره بل سبقهما الى ذلك غيرهما ووافقهما عليه أناس بعدهما ، ولكن الكتاب يختلفون بدرجة الصراحة والاجمال والتفصيل

مقدمة كتاب مفتاح كنوز السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ المَلِكِ القُدُّوسِ العَزِيزِ الحَكِيمِ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (سورة الجمعة ٦٢ : ١ و ٢)

نحمده عز وجل ونصلي ونسلم على رسوله محمد خاتم النبيين ، الذي بعثه الله وهو أمي في سن الكهولة مربيا ومعلما لقومه العرب الاميين ، ما جعلهم به قارئين كاتبين ، صالحين مصلحين ، فكانوا أئمة حكماء هادين ، وعلماء معلمين لأهل الكتاب ورثة الانبياء ، ولغيرهم من ورثة الفلاسفة والحكماء ، وجعلهم به ملوكا عادلين ، وآتاهم بكتابه وسنة رسوله [illegible] ، فما زال هذا الكتاب الأمي ، وما بينه من سنة هذا النبي الأمي [illegible] البشر في مشارق الأرض ومغاربها من شاطئ المحيط الغربي إلى أحشاء الصين ، ثم انتقل تدارسهما من الجنوب إلى الشمال فعني بها طائفة من الاوربيين ، الذين عرفوا بلقب المستشرقين ، وقد مهدوا السبيل لمراجعتها وضعوه من المعاجم لألفاظها ، والفهارس المنوعة لكتب التفسير والحديث وغيرها من الكتب العربية لتسهيل مراجعتها ، حتى صار علماء المسلمين من العرب والاعاجم مضطرين لأخذها عنهم واقتفاء أثرهم فيها

وهذا كتاب (مفتاح كنوز السنة) الذي نعرضه اليوم للعالم الاسلامي باسم الاسلام ، أحد نفائس هذه الكتب التي وضعها أحد هؤلاء الاعلام ، وما وضعه لهم باحدى لغاتهم ، وان عالمنا الاسلامي ، لهو أحوج اليها من العالم الاوربي ، فعسى أن ينتفع به جميع شعوبه وتنهض بهم الحمية الدينية إلى خدمة السنة بما هو خير منه في الضبط والجمع ، وتعميم النفع

أما بعد فإن خير ما أعرّف به هذا الكتاب لقراء العربية ، أن أبين لهم وجه الحاجة إليه ، وطريق الانتفاع به ، وعدم استغناء أهل علماء الحديث عنه ، بل هم أشد حاجة إليه من غيرهم ، ويليهم من دونهم من العلماء ، فمن دونهم من دهماء القراء ، الذين يقتنون شيئاً من كتب الحديث المشهورة وغيرها مما يراه القراء في طرته ، وإني أستمد هذا البيان من تجربتي واختباري في السنين الطوال ، لا أقوله بادي الرأي ولا أصطاده من سوانح الاستحسان

انني وُفقت لطلب العلم من طريق الدليل ، ثم وفقت للنشر بالدليل ، ووفقت للمناظرة وللافتاء بالدليل ، واشتغلت بعلم الحديث من أول العهد بالطلب وارتقيت فيه بالتدريج ، وتمرنت على مراجعة كتبه وكتب الجرح والتعديل لتخريج الاحاديث ونقدها ، وسرعة الوصول إليها من أقرب طرقها ، واشتهرت عند من يعرفني من أهل العلم والذكاء . كان الأستاذ الوذعي الشيخ محمد توفيق البكري يظن أن عندي فهارس لأوائل الاحاديث كلها ، ومعجماً لمفرداتها كهذا الكتاب يبين مواضع كل حديث ورد [illegible] كتب ، ثم علم أنه مالم إلا مفتاح الصحيحين المطبوع المشهور وهو خاص بأوائل أحاديث الصحيحين القولية والمسندة وبيان مواضعها من المتن وشروح الحافظ العسقلاني والقسطلاني والعيني لصحيح البخاري (في طبعاتها الاولى) وشرح النووي لصحيح مسلم المطبوع على هامش شرح القسطلاني للبخاري

ولو وجد بين يدي مثل هذا المفتاح لسائر كتب الحديث لوفر علي أكثر من نصف عمري الذي أنفقته في المراجعة ، ولكنه لم يكن ليغنيني عن هذا الكتاب (مفتاح كنوز السنة) فان ذاك انما يهديك الى مواضع الاحاديث القولية التي تعرف أوائلها ، وهذا يهديك إلى جميع السنن القولية والعملية وما في معناها كالشمائل والتقريرات والمناقب والمغازي وغيرها . فلو كان بيدي هو أو مثله من أول عهدي بالاشتغال بكتب السنة لوفر علي ثلاثة أرباع عمري الذي صرفته فيها ، ولمكنني من الاستجابة لمن اقترحوا علي أن أضع كتاباً جامعاً للمعتمد منها ، وكتاباً آخر للمشكل منها في نظر علوم هذا العصر وفلسفته والجواب المقنع عنه

•

ان حاجتنا إلى هذا الكتاب وما في معناه في هذا العصر لا يدل على تقصير علماء السنة السابقين أو تفريطهم في شيء من خدمتها، فانهم - أحسن الله اليهم ونضر وجوههم - قد قاموا بكل ما يجب ويندب ويستحب من رواية الحديث وحفظه وتدوينه في المسانيد والجوامع والسنن الجامعة والخاصة بالعقائد والاحكام ، وإفراد الصحاح منها وإتمامها بالمستخرجات والمستدركات عليها، ووضعوا المعاجم لمفرداتها ولأوائلها لتسهيل المراجعة ، دع ما سبقوا اليه جميع الامم من وضع التواريخ لرواتها ثم لغيرهم من العلماء ، ومن ترتيب بعضها على حروف المعجم وبعضها على الطبقات ، ومن نصب ميزان الجرح والتعديل المستقيم لهم، لتمحيص المقبول والمردود من مروياتهم، ومن وضع كتب الاطراف المبينة لروايات كل صحابي في كل موضوع ، وترتيبها على الحروف ، وغير ذلك من الكماليات التي لا محل لذكرها هنا، فقد تركوا لنا ثروة واسعة في ضبط سنن نبينا ﷺ وهديه وشمائله وسيرته، لم يوفق لمثلها ولا لما يقرب منها أحد [illegible] من الحكماء والمشترعين يسرت لمن بعدهم سبيل التفقه فيها والاستنباط منها في كل زمان بما يحتاج اليه أهله، ويكون به المتأخر مكملا لما سبقه اليه من قبله ، ويكون الارتقاء في العلم متسلسلا مطرداً، سواء منه علم الدراية والرواية الذي جعلوه علما مستقلا مدونا وعلوم العقائد والفقه والادب والتصوف وغيرها .

كان أئمة الفقه في أمهات الامصار قبل جمع الاحاديث والآثار في الاسفار يأخذ كل منهم بما وصل اليه من علم الصحابة والتابعين بالسنة ومذاهبهم في العمل فاشتهر في الكوفة مذهب عبد الله بن مسعود (رض) وأصحابه وقضايا علي أمير المؤمنين كرم الله وجهه، وشريح قاضي أمير المؤمنين عمر (رض) وفتاوى ابراهيم النخعي وأقرانه من التابعين ، فكانت عمدة أبي حنيفة في اجتهاده بالتخريج عليها قلما كان يخالفها ، ولقلة المرفوع فيها كان يأخذ بالمرسل والمنقطع ، وكثر في فروعه القياس والرأي وعرف به ، واشتهرت براعة صاحبه أبي يوسف في القضاء لتولية هارون الرشيد إياه رياسته في مملكته ، ثم اشتغل صاحبه محمد بن الحسن بالحديث

وأخذ الموطأ عن الامام مالك ودون الكتب التي هي عمدة المذهب

واشهر في المدينة علم عمر وعثمان وابن عمر وعائشة وزيد بن ثابت وابن عباس وأبي هريرة وغيرهم من فقهاء الصحابة (رض) وأصحابهم من كبار التابعين وروايتهم وفقهائهم ، فكانت عمدة مالك بن أنس في اجتهاده و كان للثقة بهؤلاء الاعلام يأخذ بالمراسيل عنهم ، وبعمل أهل المدينة بشرطه ، على كثرة المرفوع عنده

ثم ظهر محمد بن ادريس الشافعي وقد تأسس هذان المذهبان على ما أشرنا اليه فرحل في طلب الحديث من مكة إلى المدينة وسمع الموطأ وغيره من مالك ثم إلى بغداد فلقي محمد بن الحسن وناظره ونظر في كتب أبي حنيفة ومذهبه . ولقي احمد ابن حنبل وطبقته من المحدثين ، وألف هنالك كتبه التي تسمى بالمذهب القديم . ثم هاجر الى مصر وسمع من رجالها وألف فيها مذهبه الجديد ، و كان أكبر الفرق بينه وبين من قبله أن بني مذهبه على الجمع بين روايات الامصار المختلفة ، ووضع أصول الفقه الجاري عليها في الاستنباط يوجه أبي حنيفة وأصحابه ومالكا في مسائل من أهمها ما اشترطه في [illegible] في كتاب الأم

ووجه أحمد بن حنبل جل عنايته الى الاحاطة بالروايات قدر الاستطاعة ، وبالجرح والتعديل للرجال فكان أعلمهم بها ، وأقلهم عناية بالفقه استغناء بالحديث والآثار ، ومسنده أصل الاصول لأكثر كتب السنة ، فهو أعظم المسانيد وأوسعها ، ثم وضع تلاميذه وغيرهم كتب الصحاح والسنن وغيرها كما بيناه آنفا

وقد جرى على مذاهب هؤلاء الاربعة أكثر فقهاء أهل السنة في الشرق والغرب ، وصارت كتب السنة المدونة وشروحها المصنفة مرجع علمائهم كلهم ، فملأوا بها طباق الارض علما من كل ما يحتاج اليه البشر في دينهم ودنياهم

فتلك الكتب التي أتقن أفراد الاخصائيين لكل نوع منها في الرواية والدراية صار طريق علوم السنة بأنواعها معبداً ممهداً ، وهذه العلوم تتسع دائرتها في كل عصر بقدر ما يتجدد للبشر فيه من الاقضية والمصالح السياسية ، والحكمة العقلية والأدبية ، والأصول التشريعية ، والنظريات العلمية التجريبية ، والمخترعات الفنية والصناعية ، ومن فوق هذا كله إقامة الحجة على نبوة خاتم النبيين ، ودفع

الشبهات عما يرد عليه وعلى أحاديثه من إشكال علمي أو عقلي، وإنما يكون ذلك بتمحيص الروايات ونصب ميزان الترجيح بين المتعارض منها ، والأجانب يعنون بنقد هذه المتعارضات، ما لا يعنون بتلك العلوم والحكم التي تعد من المعجزات ، لتفجر ينابيعها من فيض نبي أمي نشأ بين الأميين ، وفي هذه الكتب ما لا يصح سنده وما يشكل متنه ، بمخالفة الظني للقطعي من نص أو حس ، وما فيه علل خفية كعنعنة المدلسين في الصحاح ومخالفة الثقات في غيرها ، ولا بد للعالم المسلم من العلم بذلك ولا يتيسر ذلك كله إلا بجمع ما تفرق في كتبها في كل موضوع

**

بيد أن الحياة الدينية العلمية التي بعثت الأولين على تصنيف تلك الأسفار العظيمة ، قد عرض لها أمراض روحية وسياسية كثيرة ، انتهت بالمسلمين إلى هجرها هجراً غير جميل ، حتى صار أكثر خطبائهم وكتابهم وأدبائهم يجهلون علم الحديث ، فلا يميزون بين ما صح منه وما لم يصح ، بل يتناقلون المنكرات والموضوعات منه ، ويحتجون بها حتى في أصول العقائد وأحكام الحلال والحرام ، لأنهم على جهلهم لها ، وعدم تمييزهم بينها يتلقونها من كتب الأخبار والمواعظ والتواريخ والقصص ، وكذا أكثر كتب التفسير والفقه ، فنسينا في فقر مدقع من سنة نبينا ﷺ وأخباره ، وفي خزائن كتبنا من كنوزها العظيمة ما لو استخرجناه وانتفعنا به لكنا أغنى الأغنياء ، ولملأنا الدنيا بما فيها من العلم والحكمة ، بما من الله به على أهل عصرنا من نعمة المطابع ، وتعميم المواصلات وسرعتها بين الأقطار الشواسع ، حتى صار جمع تلك الثروة الواسعة من كتب الحديث وشروحها سهلا على كل من يريده ، ولكن بعد أن قل من يريده ، حتى إن من المقلدين الجامدين من لا يرى لهذه الكتب فائدة إلا التبرك بها ، والصلاة على النبي ﷺ عند ذكره وذكرها !

ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق ، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة ، حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر ، وإني لما هاجرت إلى مصر سنة ١٣١٥ رأيت خطباء مساجدها الأزهر وغيره

يذكرون الاحاديث في خطبهم غير مخرجة ومنها الضعيف والمنكر والموضوع ، ومثلهم في هذا الوعاظ والمدرسون ، ومصنفو الكتب ، فكنت أنكر ذلك عليهم كما بدأت بانكار مثله على أهل بلدي طرابلس قبلهم ، واخترت لأشهر خطبائهم من الاحاديث الصحاح والحسان المعزوة إلى مخرجيها ماختم بها خطب ديوانه .

ولما أنشأت المنار في أواخر تلك السنة التزمت فيه تخريج ما أنقله فيه من الاحاديث فكان لذلك بعض التأثير في بعض طلاب العلم في الازهر ثم في مدرسة القضاء الشرعي ، وكان جل الذين اشتغلوا بالحديث منهم من إخواني وأصدقائي ، فباحيائي لهذه السنة بالقول والعمل ، وبالدعوة إلى السنة وهدي السلف ، والنهي عن مستحدثات البدع ، وصفت بمحيي السنة ، على ضعف حظي للرواية ، وقلة حظي من الدراية ، ولله الحمد على ما أعطى ومنع وله وحده الفضل والمنة

بيد أن جمهور المشتغلين بعلوم الشرع لا يزالون معرضين عن علم الحديث حتى ان مشيخة الازهر على علو مكانتها قد أنشأت منذ أربع سنين مجلة دينية علمية جعلتها لسان حالها فكان [illegible] الشريف ، واقترحت علينا مخصصين بعض الفتاء لتخريج [illegible] وبيان درجته ، ولكن لا تزال ينشر فيها ما لا يصح ولا يعزى إلى شيء من كتب السنة المعتمدة لقلة اطلاع محرريها على هذه الكتب وصعوبة التمييز بين الصحيح وغيره مما في غير الصحيحين ، وأصعب من ذلك عليهم المراجعة للعثور على تخريج ما ينقلونه من الكتب المختلفة وقد صاروا هم وأمثالهم من الكتاب والمصنفين الذين يكتبون في المسائل الاسلامية مضطرين إلى هذا التمييز والتخريج ، لكثرة السؤال عنه ، والانكار على من قله وتركه نقلا ، بكثرة اخواننا من أنصار السنة ودعاتها والمهتدين بها ، وتأليفهم الجمعيات ونشرهم المصنفات لتعميمها ، واعتراض الزراع والعمال منهم على العلماء الرسميين من غيرهم ، وظهور حجتهم عليهم ، ولا سبيل إلى حفظ كرامتهم ومقامهم العلمي إلا بالاشتغال بعلم الحديث ، وهو يتوقف على درس طويل وتعب كثير

وأول ما يحتاجون اليه قبل درسه الفني العلمي سهولة المراجعة في كتبه للوقوف على ما يحتج به وما لا يحتج به ، ويقرب شقته عليهم هذا الكتاب الذي شعر بالحاجة

اليه لنفسه ولا مثاله من شعوب الافرنج عالم أوربي مستشرق هو الدكتور ا . ي فنسنك الهولندي ، والمسلمون أحوج اليه منهم ، ولا غرو فقد ورد في الحديث « الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها » رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال غريب . ورواه غيره بألفاظ أخرى بعضها موقوف على علي وابن عمر (رض) نكتفي للاختيار بها في موضوع الاستفادة في علم مجمع على وجوبه . وورد في حديث آخر مرفوع « ان الله ليؤيد الاسلام برجال ما هم من أهله » رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (رض) ويؤيد ضعف سنده ما في معناه في الصحيحين بلفظ آخر ليس نصا فيه مثله . وحاصل ما تقدم ان الحاجة الى مفتاح لكتب السنة الجامعة شديدة لكل من يريد الدخول عليها من أبوابها

***

موضوع هذا الكتاب دلالة القارىء على ما أودع في كتب الصحاح والسنن والمسانيد والسير والطبقات [illegible] الاحاديث والآثار والمناقب بالصفة التي [illegible] مواضع الاحاديث التي يحفظها او يحفظ اوائلها تلك الكتب كمفتاح احاديث الصحيحين ، وانما يدلك على ما ورد فيهما من كل موضوع بمراجعة أخص كلمة تدل على اصل الموضوع ثم ما يليها من فروعه ، فهو ككتاب « فتح الرحمن لطالب آيات القرآن » فاذا لم تجد مطلوبك عند الكلمة التي راجعتها فانك تجده عند كلمة اخرى في معناها ، فمؤلفه قد أحصى ما وصل اليه علمه ووضع ألفاظها بقدر ما بلغه فهمه (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها)

واني كنت أعجبت بالكتاب منذ اطلعت عليه ، واستأذنت مؤلفه بنقله إلى اللغة العربية فأذن لي ، وانتدب لهذا العمل الجليل احد اخواننا من عشاق العلم ، الذين يكثرون الاختلاف الى دار المنار والبحث في مسائل التفسير والآثار ، ويقتنون نفائس الاسفار ، الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ادام الله توفيقه ، ومهد له في كل علم نافع وعمل صالح طريقه ، وكنا اتفقنا على التعاون على تصحيحه وتنقيحه ، فعاقني عن القيام بسهمي منه ما لم يعقه عن سرعة القيام بسهمه ، وانفرد بهذا الفضل واستقل

به ، وجاهد في هذه السبيل — وهي سبيل الله — جهاداً محموداً تلافى به بعض تقصير المؤلف فصحح ما فطن له في الاصل من خطأ بمراجعة تلك الكتب كلها في مظانها ، بعد وضع الارقام لما بين يديه من نسخها ، وإلغاء المكرر من المتون في مواضعه، وتكثير العناوين للحديث الواحد منها ،حتى صارت هذه الترجمة العربية أنفع من أصلها الانكليزي في الدلالة على تلك المتون في كتبها . فجزاه الله على حسن عمله وإخلاص نيته ، ووفق الامة لشكره بالانتفاع بأثره ، فقد قال رسول الله ﷺ « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » رواه احمد والترمذي والضياء في المختارة من حديث أبي سعيد الخدري بسند صحيح ، ولا ننسى أن نشكر لمؤلف الاصل عمله وجهاده ، فهو صاحب الفضل الاول في هذا الاثر الجيد . (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

وكتبه محمد رشيد رضا
منشئ المنار بمصر

﴿ جوامع كلم في شئون الدول والامم ﴾

﴿ شعور المسلمين بهدمهم لقوة الاسلام ، واعداد زعمائهم للاعتصام ﴾

كان لكل فريق من واضعي أسس التفرق بين المسلمين بعصبيات المذاهب فالجنس (الشعوبية) فاللغات فالاوطان فالطرائق منافع خاصة بكل منهم، ثم غاب الاسلام ، فحصرت هذه المنافع بزعمائهم في جامعة الاسلام، المانعة من التفرق والانقسام، إلا غلاة الشيعة فقد مرقت الباطنية منها ، ثم استغل الافرنج المستعمرون هذه الفرق كلها، واستخدموها في إذلال كل منها، بهدم الجامعة الاسلامية من أساسها ، وقد شعر أكثر هؤلاء الزعماء في الشرق وأقلهم في الغرب، بذلك فيجب إشعار الباقين به وإعداد الجميع للدعوة التي ستنتشر في العام الآتي مبينة لهم كيف ينتفعون بقوتهم الجامعة مع حفظ منافعهم الخاصة، من جميع النواحي الدينية والدنيوية .

التعريف بكتاب مسائل الامام أحمد

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اللهم لك الحمد والشكر ، ثم لمحمد رسولك خاتم النبيين الذي بلغنا عنك ، فصل اللهم عليه وعلى آله وصحابته ، المبلغين عنه ما آتيته من كتابك وحكمتك ، وعلى أتباعهم الحافظين عنهم ما بلغوا من بيانه وسنته ، وجميع الناشرين للعلم والعاملين به ، وسلم تسليما

أما بعد فهذه أثارة من علم حافظ الملة ، وإمام الائمة ، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، كانت من مخبآت الخزائن ، فاستخرجها منها بعض الاعوان على الخير ، لنشرها على الامة بنعمة الطبع

كان أكبر هم الامام [illegible] مصروفاً إلى رواية الحديث وتقدير رجاله [illegible] المأثورة بالعلم والعمل ، على الهدي الذي كان عليه الصحابة والتابعون وصلحاء السلف ، وما كان يريد أن يكون ذا مذهب في الفقه يدون ويتبع رأيه فيه ، لانه ما كان يبيح لأحد أن يقلده ولا أن يقلد غيره في فهمه ورأيه ، وإنما كان يدعو الناس إلى الاتباع ، وينهاهم عن الابتداع ، حتى إنه كان يتحامى القياس ويرغب عنه ، وقد روي عنه أنه قال سألت الشافعي عن هذا القياس فقال : هو كلحم الميتة يباح للضرورة - أو قال كلمة بمعنى يباح - الشك من الكاتب - ولذلك كتب الحديث والآثار والسنة وصفة الصلاة والرد على المبتدعة ، ولم يصنف شيئا في الفقه ، ومن ثم قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب الاحكام انه لم يذكر فيه خلاف الامام أحمد لانه كان محدثا لا فقيها

والحق ان الامام أحمد كان محدثا فقيها يرجع اليه العلماء فيما يشكل عليهم

من مسائل الفقه كما يرجعون اليه فيما يشكل عليهم من روايات الاحاديث ورواتها ، ليعلموا ما يصلح وما لا يصلح للعمل به منها ، وكان يجيب السائلين ولكنه ما كان يحب أن ينقل عنه ولا عن غيره شيء في الفقه إلا الحديث والسنن ، وتفنيد المحدثات والبدع

قال صاحبه أبو الحسن احمد بن الحسن الترمذي – وهو من شيوخ البخاري عنه – أي عن أحمد – سألت أبا عبد الله فقلت له : أكتب كتب الشافعي ؟ فقال : ما أقل ما يحتاج صاحب الحديث اليه . وقال صاحبه عبد الملك بن عبد الحميد الميموني الرقي أبو الحسن : سألت أبا عبد الله عن مسائل فكتبتها فقال : إيش تكتب يا أبا الحسن ؟ فلولا الحياء منك ما تركتك تكتبها وانه عليّ لشديد ، والحديث أحب إليّ منها . قلت : انما تطيب نفسي في الحمل منك ، انك تعلم انه منذ مضى رسول الله ﷺ قد لزم أصحابه قوم ، ثم لم يزل يكون للرجل أصحاب يلزمونه ويكتبون ، قال : من كتب ؟ قلت : قال أبو هريرة : وكان عبد الله بن عمرو يكتب ولم أكتب فحفظ وضيعت . فقال لي : فهذا الحديث ، فقلت له : فما المسائل الا حديث ومن الحديث تشتق ، قال لي : أعلم أن الحديث نفسه لم يكتبه القوم ، قال : لا ، لمن يكتبون ؟ قال : انما كانوا يحفظون ويكتبون السنن الا الواحد بعد الواحد الشيء اليسير منه ، فأما هذه المسائل تدون وتكتب في الدفاتر فلست أعرف فيها شيئا ، وإنما هو رأي لعله قد يدعه غداً ينتقل عنه الى غيره . ثم قال لي : انظر الى سفيان ومالك حين أخرجا ووضعا الكتب والمسائل كم فيهما من الخطأ ؟ وانما هو رأي يرى اليوم شيئا وينتقل عنه والرأي قد يخطيء . فاذا صار الى هذا الموضع دار هذا الكلام بيني وبينه غير مرة اه

أقول ذكر هذا عنه القاضي أبو الحسن محمد بن القاضي أبي يعلى الكبير في مختصر (طبقات الحنابلة) وقال قبله في ترجمة الميموني هذا : وعنده عن أبي عبد الله مسائل في ستة عشر جزءاً ، وجزأين كبيرين بخط جليل مائة ورقة ان شاء الله تعالى او نحو

ذلك علم يسمعه منه أحد غيري فيما علمت من مسائل لم يشركه فيها أحد ، كبار جياد تجوز الحد في عظمها وقدرها وجلالتها . اه بحروفه ص ١٥٦ من الطبقات

وهكذا كان يسأل الامام أصحابه وغيرهم عما يعرض لهم من المسائل ، لان إمامة العلم ورياسته قد انتهت اليه في بغداد عاصمة الخلافة وكعبة العلم ، فأما أهل الرواية كالميموني فكانوا يروون عنه هذه المسائل ومنهم صاحبه أبو داود في المسائل المجموعة في هذا الكتاب ، وأما سائر الناس فكانوا يعملون بما يقوله ويفتي به ، وإفتاء العامي فيما يعرض له واجب على أولي العلم ولكن أحمد كان ينهى أن يتخذ فيه دينا يقلد فيه ، وكذا سائر الأئمة كما صرح به الامام المزني عن الشافعي في أول مختصره وانه كتبه لاجل النظر فيه ، أي مساعدة على فتح باب الفهم ، وان الشافعي نهى عن تقليده فيه ، وإنما يعمل الناظر في العلم بما تقوم الدليل عنده على صحته ، وقد بكى مالك في مرض موته إذ [illegible] يرجع هو عنه

ولما دوّن أتباع [illegible] المسائل المجموعة ، والروايات المتفرقة ووضعوها في أبوابها ، ومن أجل هذا نجد الروايات والاقوال عنه كثيرة مختلفة ، وقد وضعوا للاختلاف فيها وترجيح بعضها على بعض قواعد ، ولو كان هو المدون للفقه لما احتاجوا إلى ذلك ، لانه كان يكون عند الكتابة يدون ما يرى أنه الحكم ، أو يذكر في المسألة وجهين على الاكثر ، ووضعوا اصطلاحا لألفاظه المختلفة في التعبير عما يراه وعما لا يراه في المسألة كقوله : لا ينبغي ، لا يعجبني ، لا يصلح ، أستقبحه ، هو قبيح ، أكرهه ، لا أحبه ، هذا أقبح أو أشد . وفي مقابله : أحب كذا ، يعجبني ، هو أعجب إلي ، هذا حسن أو أحسن . وقد بين هذا وذاك العلامة ابن مفلح في فاتحة كتابه (الفروع) وإنما كان يقول هذا حتى لا يكون جازما بأنه هو حكم الله تعالى ، وما كان يخطر ببال أحدهم أن الناس سيتركون ما صح من السنة والحديث تقديماً لاقوالهم عليها ، هذا ما كانوا يخافون من كتابة الفقه ، وليس فيها عداه إلا النفع للامة والاعانة على العلم ، وفتح أبواب الفهم ، جزاهم الله خير الجزاء

لا أعلم أن شيئاً من المسائل التي نقلها عن الامام واحد رويت عمن سأله عنها ودونت في زمن راويها إلا هذه المسائل التي رواها عنه أشهر أصحابه (أبو داود) سليمان بن الاشعث السجستاني صاحب السنن المشهورة ، فان النسخة المحفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق قد سمعت وكتبت في سنة ٢٦٦ للهجرة وكانت وفاته سنة ٢٧٥ فهي قد كتبت في عصره . ومن العجب أن علماء المذهب لم يعتنوا بها بعد ذلك بما ينبغي لمثلها من الرواية والشرح حتى ان صاحب مختصر الطبقات لم يذكرها في ترجمته، ولم نجد لها ذكراً في كتاب (كشف الظنون) ولا في فهرس المكتبة المصرية الكبرى ، وان منها من أنفعه من أصح ما يعزى إلى أحمد أو أصحه لانه كتب بلفظه في عصره ، ولا يستغنى عنه بغيره

لهذا نعد من حسنات هذا العصر عصر تجديد العلم ونشر كتب السلف بالطبع أن وفق الله تعالى الشيخ [illegible] أحمد كرام تجار جدة لطبع هذا الكتاب [illegible] نسخة المدينة المنورة واستنساخها، وأن أشار عليه بعض أهل المعرفة والرأي أن يكلف الاستاذ الامين المدقق عالم الشام الشيخ محمد بهجة البيطار معارضتها على نسخة المكتبة الظاهرية وتصحيحها بالمقابلة عليها ، وقد تبرع الاستاذ بهذا العمل الشاق وجرى فيه على الطريق الوعر بأن أحصى كل ما رأى من الاختلاف بين النسختين وأثبت في حواشي النسخة المدنية التي جعلت هي الاصل للطبع ما يخالفها في النسخة الظاهرية من تحريف وتصحيف وزيادة ونقصان وهو كثير جداً ، وترى بيان هذا بقلمه في آخر الكتاب

وكان من سوء الحظ أن نسخة المدينة كثيرة الغلط حتى ان منه ما هو تحريف أو تصحيف ظاهر لا يحتمل الصواب ، وان النسخة الظاهرية تخالفها في أكثره الى الصحيح كما صرحت به في بعض تعليقاتي عليه . ومثل هذا الاختلاف لا يصح أن يجعل اختلاف رواية ولا اختلاف فهم . وقد كتب الاستاذ رأيه في بعض الخطأ

اللفظي والمعنوي في الكتاب ، ومنه اختلاف قولي الامام في المسألة الواحدة ، ونصح لمريد طبع الكتاب أن يطبعه في مطبعة دار المنار بمصر ، وأن يكلفني ما لا يكلف مثله صاحب مطبعة من النظر في المشكلات المعنوية والمسائل الخفية ، وضبط الروايات وأسماء الرجال المشتبهة والتي لاتعرف لما وقع فيها من التحريف ، وكتب في ذلك جدولا فيه عشرات من هذه المسائل ، وقد أرسل إلي هذا الجدول بعد الاتفاق مع مدير المطبعة على شروط الطبع ، ومنها أن يكون تصحيح المطبعة على الاصل المرسل تحت إشرافي ومراجعتي

وقد قمت وقه الحمد بأكثر مما كلفته من تصحيح المسائل المشكلة والخفية وأسماء الرجال التي أحصاها الاستاذ ابن البيطار ، ومنها ما كتبت له حواشي وضعت اسمي في آخرها أو أولها، وربما ترك ذكر الاسم أو سقط من بعضها ، ومنها ما لم أضع له حاشية لئلا [illegible] ولم يكن من الممكن بيان جميع المسائل الخفية في الأصل و[illegible] مطول لها يكون أضعاف الاصل في حجمه ، فان هذه المسائل لم يقصد بشيء منها أن تكون بيانا تاما لمسألة فقهية أو اعتقادية أو حديث أو تاريخ راو لأجل تلقينها لطلاب العلم أو المستفتين ، وإنما هي إشارات وجيزة من حافظ عليم إلى مشكلات عنده لامام أعلم منه ، فيكفيه أن يشير اليها بلفظ مفرد أو جملة وجيزة تامة أو غير تامة ، ويفهمه من الجواب عليها مثل ذلك ، فمن لم يكن على علم بموضوع المسألة من هذا النوع فانه لا يفهم السؤال والجواب ، وناهيك بالسؤال عن حديث بذكر كلمة منه ولو في بعض رواياته ، أو بذكر أحد رواته باسمه أو لقبه أو كنيته ، على ما في هذه الأعلام من الاشتراك والاشتباه ، ثم ناهيك بالجواب عنه بكلمة مبهمة أو اسم آخر ، وغير ذلك مما كان معروفا عند السائل والمسئول ، وأشباه هذا مما تكرر في هذه المسائل ، ولو ضربت له الامثال هنا لأطلت في غير طائل

عرفت كثيراً من التحريف والتصحيف لأسماء رجال الحديث في إحدى النسختين أو كلتيهما بشهرتهم ، وكثرة مرور أسمائهم على ضعف حفظي وذكري للاعلام كالارقام، وشككت في بعضها فراجعت عما أحاله علي الاستاذ ابن البيطار من المشكوك فيه فصححته، بل قمت بأكثر مما عهد إلي من التصحيح بقدر الامكان ، كما قام هو بأكثر مما عهد اليه أيضاً ، فنسأل الله أن يثيبنا عن هذه الخدمة

ولو نقلت نسخة المكتبة الظاهرية بالتصوير الشمسي أو كتبت عنها نسخة وصححت عليها و كلفنا الطبع عنها مع معارضتها على النسخة الدنية لما تعبنا عشر هذا التعب في تصحيحها ، ولما زادت حواشيها على عشر هذه الحواشي ، ولجاء المطبوع أصح وأظهر في القراءة وأقرب إلى الفهم ، لعدم الحاجة إلى الحواشي عند القراءة إلا قليلا ، ومن ذا الذي كان يعلم هذا الفرق كله بين النسختين فيختار مريد طبع الكتاب به ويقترح عليه العمل به

أما أنا فلم أقرأ [illegible] نسخة الظاهرية [illegible] إلى مطبعة المنار لأنني لم أكلف قراءة الاصل ولم أشعر بالحاجة اليه بعد ان [illegible] تصحيح الثقة الامين الاستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار له بالصفة التي يعرفها القراء مما وصفته لهم ، وإنما كنت أنظر فيما جمع منه في المطبعة للاشراف على تصحيح مصححها ، والنظر فيما عهد إلي من «مشكلاتها الفقهية والحديثية وأسماء الرواة» ولم أفطن لفضل النسخة الظاهرية على الدنية إلا بعد طبع كراسات منه ، وأظن أن ما وقع لي من هذا مثل الذي وقع للاستاذ ابن البيطار في معارضة النسختين . وما كان له ولا لي أن نتصرف في الاصل الدني فنصحح ما نظن ولا ما نجزم بأنه خطأ فيه ، لاحتمال خطأ الظن في الاول ، ولعدم ثقة جميع القراء بصحة ما نجزم به إلا أن نبين الاصل الصحيح والدليل على أن ما جزمنا به هو الصواب . وهذا لا يكون إلا بالتوسع في هذه الحواشي وجعلها سفراً كبيراً وهو ما لم نكلفه ، على ما يقتضيه من التعب الكثير والزمن الطويل وأنا أقر بأنني لست أهلا للاضطلاع به في أقل من سنة كاملة أخصه بها

بيد أني أقول : إن ما قنا به من خدمة هذا الكتاب هو الممكن الذي أطقناه،

وهو قد أظهر لمحبي العلم والمشتغلين بفقه الامام أحمد وبعلوم الحديث نسخة منه جامعة لكل ما في النسختين المخطوطتين اللتين لم يوجد منه غيرهما ، مع زيادات من البيان والتصحيح لا يستغنى عنها . فاذا قدره علماء الحنابلة وعلماء الحديث قدره ، وأحيوا إكمال فائدته بما ينتفع به جميع القارئين له ، فلينتدب بعضهم إلى شرحه ، وان شرح القسم الخاص بالحديث ورجاله ليسير على المشتغلين به من إخواننا علماء الهند ، وأما القسم الفقهي فلا يستطيعه إلا فقيه حنبلي ضليع وما أعرف أحداً جامعاً بين الامرين فان وجد فهو قليل لا كثير

ويتوقف الفهم التام لهذا الكتاب في جميع مسائله على معرفة اللغة العرفية لعلماء بغداد في عصر الامام أحمد (رحمه الله تعالى) فقد كتبت بلغة التطلق لا بلغة التصنيف والفرق بينها قليل : فمنه عدم التزام حركات الاعراب ومنه استعمال مفردات غير عربية الاصل وهي قليلة جدا ، وقد نبه الاستاذ ابن البيطار لبعضها في حواشيه وزدت عليه [illegible] الوقوف على المنصوب بالسكون على لغة ربيعة [illegible] وقف . ولا نرى مثل هذا في مصنفات الامام أحمد التي كتبها . كيف وقد شهد له الامام الشافعي (رحمها الله تعالى) بامامة اللغة كامامة الدين وناهيك بشهادة الشافعي .

قال الربيع بن سليمان : قال الشافعي (رض) أحمد إمام في ثماني خصال : إمام في الحديث . إمام في الفقه . امام في اللغة . امام في القرآن . امام في الفقر . امام في الزهد . امام في الورع . امام في السنة اهـ من طبقات الحنابلة

وجملة القول ان هذا الكتاب قد جمع من فقه الامام أحمد وعلمه بالحديث ورجاله ما يعد من بقايا المآثر ، وأعلاق الذخائر ، التي تركها الأوائل للاواخر ، فنسأل الله تعالى أن ينفع بها ، ويحسن جزاء من رواها ومن نسخها ومن صححها ومن طبعها ، انه لا يضيع أجر من أحسن عملا آمين

وكتبه محمد رشيد رضا
منشيء المنار

بسم الله الرحمن الرحيم

عهد التحكيم بين المملكة العربية السعودية

(وبين مملكة اليمن)

بما أن حضرة صاحبي الجلالة الامامين الملك عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية والملك يحيى ملك اليمن قد اتفقا بموجب المادة الثامنة من معاهدة الصلح والصداقة وحسن التفاهم المسماة بمعاهدة الطائف والموقع عليها في السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف على أن يحيلا إلى التحكيم أي نزاع أو اختلاف ينشأ عن العلاقات بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما متى عجزت سائر المراجعات الودية عن حله فان الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهدان باجراء التحكيم على الصورة المبينة في المواد الآتية:

(المادة الاولى)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يقبل بإحالة القضية المتنازع فيها على التحكيم خلال شهر واحد من تاريخ استلام طلب اجراء التحكيم من الفريق الآخر اليه

(المادة الثانية)

يجري التحكيم من قبل هيئة مؤلفة من عدد متساو من المحكمين ينتخب كل فريق نصفهم ومن حكم وازع ينتخب باتفاق الفريقين الساميين المتعاقدين وان لم يتفقا على ذلك يرشح كل منهما شخصا فان قبل أحد الفريقين بالمرشح الذي يقدمه الفريق الآخر فيصبح وازعا وان لم يمكن الاتفاق على ذلك تجرى القرعة على أيهما يكون وازعا مع العلم بأن القرعة لا تجري إلا على الاشخاص المقبولين من الطرفين . فمن وقعت القرعة عليه أصبح رئيساً لهيئة التحكيم ووازعا للفصل في القضية وان لم يحصل الاتفاق على الأشخاص المقبولين من الطرفين تجرى المراجعات فيما بعد إلى أن يحصل الاتفاق على ذلك

(المادة الثالثة)

يجب أن يتم اختيار هيئة التحكيم ورئيسها خلال شهر واحد من بعد انقضاء الشهر المعين لاجابة الفريق المطلوب منه الموافقة على التحكيم لقبوله لطلب الفريق الآخر . وتجتمع هيئة المحكمين في المكان الذي يتم الاتفاق عليه في مدة لا تزيد عن شهر واحد بعد انقضاء الشهرين المعينين في أول المادة . وعلى هيئة المحكمين أن تعطي حكمها خلال مدة لا يمكن بأي حال من الاحوال أن تزيد عن شهر واحد من بعد انقضاء المدة التي عينت للاجتماع كما هو مبين أعلاه. ويعطى حكم هيئة التحكيم بالاكثرية ويكون الحكم ملزما للفريقين ويصبح تنفيذه واجباً بمجرد صدوره وتبليغه . ولكل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يعين الشخص أو الاشخاص الذين يريدهم للدفاع عن وجهة نظره أمام هيئة التحكيم وتقديم البيانات والحجج اللازمة لذلك

(المادة الرابعة)

أجور محكمي كل فريق عليه وأجور رئيس هيئة التحكيم مناصفة بينهما وكذلك الحكم في نفقات المحاكمة الاخرى

(المادة الخامسة)

يعتبر هذا العهد جزءاً متمما لمعاهدة الطائف الموقع عليها في هذا اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف ويظل ساري المفعول مدة سريان المعاهدة المذكورة ، وقد حرر هذا من نسختين باللغة العربية يكون بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة

وقراراً بذلك جرى توقيعه في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف

(التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

(التوقيع) عبد الله بن أحمد الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من خالد بن عبد العزيز الى حضرة الاخ صاحب السيادة السيد عبد الله الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الامام يحيى حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله . أما بعد فانه بمناسبة توقيع معاهدة الطائف بيننا وبينكم نيابة عن جلالتي ملكي المملكة العربية السعودية والمملكة اليمانية أحب أن أثبت لكم في كتابي هذا أنه لا يمكن اعتبار تلك المعاهدة وقبول انفاذ مقتضاها إلا في اثبات ما يأتي :

١ — أن يجري تسليم الادارسة واخلاء جبالنا في تهامة واطلاق رهائن أهلها حالا

٢ — أن يظل مضمون هذه المعاهدة مكتوما ولا ينشره أحد الفريقين ولا سيما ما يتعلق منها بمسألة الحدود لما يحدث ذلك من التشويش في تهامة خاصة وإن انسحاب جند جلالة الملك عبد العزيز يكون بكامل الصيانة والشرف من ابتداء انسحابه إلى آخره ، وكل حادث عدواني عليه في خلال تلك المدة يكون مضمونا من قبل جلالة الامام يحيى وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

(التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من عبد الله الوزير الى حضرة صاحب السمو الملكي الامير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد تلقيت كتاب سموكم تاريخ ٦ صفر ١٣٥٣ وقد أحطت علما بما اشترطتموه سموكم لانفاذ معاهدة الطائف التي عقدت بين الفريقين من تسليم الادارسة واخلاء الجبال التي كانت محتلة من قبل جنود جلالة الامام يحيى من بلاد جلالة الملك عبد العزيز واطلاق رهائن أهلها وأن تظل هذه المعاهدة مكتومة وعلى الاخص مسألة الحدود الى أن يتم ترتيب

الاتفاق الذي اتفقنا عليه لانفاذه وان انسحاب جند جلالة الملك عبد العزيز يكون بكامل الصيانة والشرف من ابتداء انسحابه الى آخره وإن كل حادث عدواني عليه في خلال تلك المدة يكون مضمونا من قبل جلالة الامام يحيى لقد أحطت علما بذلك ويسرني أن أعلن سموكم بقبولنا وموافقتنا لاشتراطكم وأنه سيكون مرعيا من جهتنا وتفضلوا بقبول فائق الاحترام (التوقيع) عبدالله بن احمد الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

تحريراً في ٦ صفر ١٣٥٣

من عبد الله الوزير إلى حضرة صاحب السمو الملكي الامير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأتشرف بأن أثبت هنا إلحاقا بمعاهدة الطائف الموقع عليها من قبل سموكم نيابة عن جلالة الملك عبد العزيز والموقعة من قبلي نيابة عن جلالة الملك الامام يحيى وأتعهد باسم جلالة الامام يحيى بما هو آت:

١ — تسليم الأدارسة لجلالة الملك عبد العزيز وقد تمت الترتيبات اللازمة لتسليم السيد الحسن والسيد عبد العزيز بن محمد الادريسي وسيسلمون حالا لرجال سمو الامير فيصل في تهامة، أما السيد عبد الوهاب الادريسي فنظراً لانه لايزال إلى الآن في بلاد العبادل فقد اتخذت الوسائل والوسائط لاستدعائه من تلك الانحاء لتسليمه ، فان لم يطع الامر فأتعهد باسم جلالة الامام يحيى بشأنه بما يأتي:

ا — أن تمتنع حكومة الامام يحيى عن كل مساعدة مادية أو معنوية له وأن تمنع عنه من بلادها أي مناصرة أو معاونة .

ب — اذا أرادت حكومة جلالة الملك عبد العزيز القبض عليه في الاراضي التي هو فيها فان حكومة الامام يحيى ستعمل من جهتها سائر أنواع التضييقات العسكرية التي تستطيعها لمنع فراره إلى أراضيها ، وتتعهد أن تلقي القبض عليه وعلى كل شخص اشترك معه في حركته من أي جهة وقبيل من قبائل المملكة العربية السعودية ، وأن تسلمهم لحكومة جلالة الملك عبد العزيز بغير شرط ولا قيد اذا دخلوا إلى جهات المملكة اليمانية وأن تمنع فراره أو فرار أي شخص من الذين

اشتركوا معه في عمله الى الخارج اذا دخلوا الى أراضي المملكة اليمانية .

٢ — أما من كان له تعلق بالادارسة وحركتهم من الاشراف أو غيرهم فاذا أرادوا اللحاق بالادريسي فلهم الامان من قبل حكومة جلالة الملك عبد العزيز والصيانة والاحترام والاكرام اللائق بحقهم ، واذا لم يشاءوا ذلك فانهم يخرجون من بلاد جلالة الامام يحيى، ولا يسمح لهم بالبقاء فيها، واذا عادوا اليها مرة أخرى فيطاردون حالا — وينذرون بأنهم اذا عادوا يسلمون إلى حكومة جلالة الملك عبد العزيز، فان عادوا بعد طردهم فأتعهد باسم جلالة الامام يحيى بتسليمهم الى حكومة جلالة الملك عبد العزيز بغير قيد ولا شرط .

فأرجو أن تعتبروا هذا سموكم عهداً وثيقاً بمنزلة المعاهدة المعقودة بيننا وبين سموكم بهذا اليوم، وعلى هذا عهد الله وميثاقه، وأرجو أن يكون هذا طبقاً للاتفاق الشفوي الذي اتفقنا عليه في هذا الشأن وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

(التوقيع) عبد الله بن احمد الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من خالد بن عبد العزيز الى حضرة صاحب السيادة الأخ السيد عبد الله الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الملك الامام يحيى حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فأتشرف بأن أعلمكم باستلامي كتاب سيادتكم بتاريخ اليوم بشأن ماتعهدتم به باسم جلالة الامام يحيى بشأن الادارسة وأتباعهم، وأنا على ثقة بأن ماتعهدتم به سيكون تنفيذه بمقتضى الامانة والوفاء المأمول في جلالة الامام يحيى ونتمنى أن يكون تنفيذ ذلك بأسرع مدة ممكنة .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام (التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من خالد بن عبد العزيز الى حضرة المكرم السيد عبد الله الوزير حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فبمناسبة توقيع معاهدة الطائفين

مملكتنا ومملكة اليمن أثبت هنا ما اتفقنا عليه بشأن تنقلات المتنقلين من رعايا المملكة العربية السعودية ورعايا المملكة اليمانية في البلادين أن التنقل في الوقت الحاضر يظل على ما كان عليه في السابق إلى أن يوضع بين البلدين اتفاق خاص بشأن الطريقة التي ترى الحكومتان متفقتا اتخاذها من أجل تنظيم الانتقال سواء للحج أو التجارة أو غيرها من الاغراض والمنافع ، فأرجو أن أنال جوابكم بالموافقة على ما اتفقنا عليه بهذا الشأن وتفضلوا بقبول فائق الاحترام . (التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من عبد الله الوزير الى صاحب السمو الملكي الأمير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد تلقيت كتاب سموكم تاريخ ٦ صفر بشأن تنقلات رعايا المملكتين من البلادين وأوافق على اتفاق مع سموكم في أن يكون الانتقال في الوقت الحاضر طبقاً للطريقة التي كان السير عليها من قبل الى أن يوضع اتفاق خاص بشأن تنظيم الانتقال في المستقبل ، وان ذلك سيكون مرعياً من جانب حكومتنا كما هو مرعي من جانب حكومتكم .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام (التوقيع) عبد الله بن احمد الوزير

فبعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة السالفة الذكر وعلى عهد التحكيم والكتب التي ألحقت بها وأمعنا النظر فيها صدقناها وقبلناها وأقررناها جملة في مجموعها ومفردة في كل مادة وفقرة منها ، كما أننا نصدقها ونبرمها ، ونتعهد ونعد وعداً ملوكياً صادقاً بأننا سنقوم بحول الله بما ورد فيها ، ونلاحظه بكمال الامانة والاخلاص ، وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالاخلال بها بأي وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك ، وزيادة في تثبيت صحة كل ما ذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ، ووقعناها بيدنا والله خير الشاهدين

حرر بقصرنا في الطائف في الخامس والعشرين من شهر صفر سنة ١٣٥٢

الختم الملوكي (التوقيع) عبد العزيز آل السعود

(تفنيد كاتب مجلة المشرق اليسوعية في الاعتراض على كتاب الوحي المحمدي)

(تابع لما قبله)

معجزة القرآن

أنقل هنا ما نشرته مجلة المشرق من الطعن في معجزة القرآن بحروفه ثم أفنده بالبرهان وهذا لا يفعله أحد من رجال النصرانية لا الكاثوليك ولا غيرهم لعلمهم بأنهم اذا نقلوا كلامنا إلى أتباعهم لا يقدرون على الرد عليه بما يقنع أتباعهم فضلا عن غيرهم

قال في ص ٩٥٧ و ٩٥٨ من سنة ١٩٣٣ لمجلة المشرق ما نصه بغلطه اللفظي والمعنوي

«من المعلوم أن المسلمين يستشهدون بكتابهم على صدق نبوة محمد فهو عندهم آية الآيات ، والاعجوبة الصريحة ، والدليل القائم بذاته على مدى الايام داعياً إلى الهدى من غير شاهد يشهد بصحة نسبته إلى أصله ، كأن به توقيع الله بالذات. ويدعمون قولهم بما يسمونه [illegible] القرآن من الخوارق العظمى التي قلبت فئة عظيمة من البشر [illegible] فالقرآن القديم كما يقول السيد محمد رشيد رضا هو معجز للخلق بلفظه، ونظمه وأسلوبه، وعلومه وهدايته، وبذلك هو « آية لا كالآيات ، ونور لا كالانوار » (ص ٥٩)

ولكن ماهي قيمة تلك المعجزة وما هي حقيقة مفاعيلها ؟

قال الاب دي لانفرسان محرر مجلة « في أرض الاسلام » الافرنسية :

« ليس في يومنا من يخالف في قيمة القرآن الادبية ، كما وأنه ليس من يشك في قيمة التوراة اللغوية في الترجمة الانكليزية أو في الترجمة الالمانية لمؤلفها لوثر على أن تلك القيمة البشرية محضة، وقد يتاح لكل انسان مثقف أن يتحققها تحققاً متفاوتاً مع تفاوت تضلعه من اللغة ومن آداب البلاد التي وضع فيها الكتاب ، ولكن تلك القيمة الادبية ليست مما يزيد أو ينقص في قيمة المتن الدينية

«انا لا ننكر على القرآن القيمة الدينية ، ونحن على بينة من مفعوله في إثارة عواطف السجود والصلاة والتسليم لارادة الله، وهناك جمهور المتصوفين الصادقين

من استقوا من مناهل القرآن على مدى الزمان مياه العبادة الصادقة لله عز وجل.

« ولكن محور كلامنا لا يدور على تأثير القرآن في النفوس بل على السؤال هل القرآن بذاته دليل ؟ هل هو بذاته آية الآيات ومعجزة المعجزات كما يسميه السيد محمد رضا (ص٥٩) وقبله الكثيرون من كبار أئمة المسلمين، هل القرآن هو كلام الوحي ، لا بمعنى الوحي الشعري أو الفني المعروف عند أهل الفن والادب بالوحي النفسي (كما ذكره المؤلف ص٢٩) ولكن بالمعنى الكامل المألوف عند رجال الدين أعني به كلام الله الحي ؟

« بعيد عنا القول أن كتابا موحى به من الله وحياً بيناً لا يمكن أن ينم عن أصله الالهي من غير أدلة خارجة عنه ، وإنه من المستحيل أن يشهد الكتاب بذاته لصاحبه فتثبت فيه علامة الله وتوقيعه ، ولكن الصعوبة كل الصعوبة هي في أن نتحقق تلك العلامة من غير ما أن نخشى الضلال ، ولا نخاف أن نكون غلطنا في تحقيقنا ، وما الشك إلا [illegible] عند أهل التفسير فان قيمة الدليل الباطني [illegible] في الجدال ، ولكن الجدال انما هو في تطبيق العلامة والدليل الباطني تطبيقا لا يترك مجالا للريب ، ولذلك فقد أجمع المفسرون على القول أن الدليل الخارجي هو أشد تأثيراً من الباطني لأنه أبعد منه عن خطر الغلط وآمن على سلامة التأكيد »

« ففي الامر الواقع ليس للدليل الباطني قيمة إلا القيمة السلبية أي إنه ينفي كون مؤلف من المؤلفات يمكن أن يكون قد خرج من عقل بشري ام بجروته »

المنار : في هذه العبارة شبهات نشير الى دحضها بالاجمال

﴿ الشبهة الاولى في الموازنة بين القرآن والتوراة والانجيل في البلاغة ﴾

نقل عن أحد آبائهم انه « ليس في يومنا من يخالف في قيمة القرآن المعنوية » ولكنه زعم أنه يشاركه في ذلك ترجمتا التوراة الانكليزية والالمانية والجواب عنها من وجهين :

(أحدهما) ان القرآن معجز للبشر بعبارته اللغوية ، عجزعن الاتيان بسورة من مثله فحول بلغاء العرب الذين اشتهروا بالفصاحة والبلاغة ولم يكن محمد ﷺ قبل النبوة يعد من طبقتهم فيها وقد تحداهم الله بأن يأتوا بسورة مثله مصرحاً بأنهم لن يفعلوا ، وكانوا أحرص الناس على تكذيبه فلو قدروا لفعلوا ، واستمر هذا الاعجاز الى يومنا هذا . ولم يقل أحد من الانكليز ولا من الالمان إن ترجمة التوراة معجزة للبشر لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها - فظهر الفرق كفلق الصبح أو أشد نوراً

(الوجه الثاني) لماذا لا يوازنون بين القرآن الذي جاء به محمد ﷺ والتوراة التي جاء بها موسى (ع .م) من عند الله وهي أصل دينهم فأين هي؟ وأين الانجيل الذي جاء به عيسى المسيح (ع.م) ويذكرون في كتب العهد الجديد أنه أمر تلاميذه أن يكرزوا به في الخليقة كلها ؟ ولماذا لا يوازنون بين قيمته الادبية وقيمة القرآن؟ حسب القرآن انه هو الذي جاء به محمد رسول الله وخاتم النبيين فيعرف به أصل دينه معرفة قطعية ، ولكن ما جاء به أخواه موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام غير موجود بنصه الحرفي وهذه الترجمات الموجودة لا يمكن اثبات أخذها عن أصلها لفقده من العالم وهي مختلفة متعارضة متناقضة ، فكيف يوثق بأنها مطابقة لاصلها لو كان موجوداً ؟

(الشبهة الثانية في دلالة هداية القرآن الدينية على كونه من الله)

اعترف أيضاً بأنهم لا ينكرون هداية القرآن الدينية من التسليم لارادة الله تعالى والعبادة الصادقة له ، ولكنهم ينكرون أن يكون تأثيره هذا دليلا على انه من عند الله تعالى ، وآية على صحة نبوة محمد ﷺ والجواب عنها من ثلاثة أوجه: وجهين عقليين والثالث نقلي مسيحي

(الاول) اننا لم نحصر البرهان على كون القرآن وحياً من الله تعالى في تأثير هدايته للبشر ولا في اعجاز لغته بل أوردنا في كتاب الوحي المحمدي ثم في غيره من تفسيرنا براهين أخرى عقلية وعلمية على ذلك حسبه منها اتفاق علماء الافرنج

في هذا العصر على انه لايمكن لأحد من البشر أن يأتي بكتاب في الذروة العليا من البلاغة والفصاحة اللغوية بعد دخوله في سن الاربعين إذا لم يكن قد مارس هذا النوع من الكلام أو مرن في سن الصبا والشباب، وانه ليس في استطاعة أحد من البشر أن يأتي بكتاب ممتاز في العلوم الدينية أو الادبية أو التشريع المدني والسياسي بعد بلوغ سن الاربعين اذا كان لم يمارس هذه العلوم بالتلقي والبحث والعمل قبل ذلك. وقد ثبت بالتواتر ان محمداً ﷺ نشأ أمياً بين قوم أميين لم يزاول شيئاً من هذا ولا مما قبله. وقد احتج عليهم بهذا كما أمره الله بقوله (١٠: ١٧ قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به، فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون) واذا كان هذا الكتاب ـ الذي يعترف اليوم أعدى أعدائه وأشد خصومه جدلا ومراء بقيمته اللغوية والادبية والدينية وتأثيره [illegible] في العالم محالا أن يكون من تأليف محمد بهذا البرهان العلمي فهل يمكن أن يكون إلا بوحي من الله تعالى له؟ وهل يوجد في كتب [illegible] الحجة؟

(الوجه الثاني) [illegible] الذين من البشر إلى معرفة الله تعالى وعبادته الصادقة وترك ما كانوا عليه من عبادة الاصنام والاوثان والاشجار والكواكب والحيوان والانسان ، وابن الانسان ، من أكبر البراهين على أنه من وحي الله وكلامه . وهل بعث الله تعالى رسله وأنزل كتبه إلا لأجل هذا؟ وهل وجد كتاب من كتبه كان له أكبر من هذا التأثير أو مثله في هذه الهداية؟ قد بسطنا الجواب العلمي عن هذا الاستفهام في كتاب الوحي المحمدي

اذا كان الماديون المعطلون أو المنكرون الوحي والنبوة من أساسها ينكرون هذه الدلالة على الوحي لانها فرع الايمان بالاصل وهو وجود الله تعالى ورسالة الرسل فكيف ينكرها من يدعون الايمان بهما؟ هذا مالعجب منه موسيو موتيه أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف إذ قال انه لايعقل أن يوجد أحد يؤمن بنبوة أنبياء بني اسرائيل ولا يؤمن بنبوة محمد ﷺ

وبيانه كما بسطناه في كتاب خلاصة السيرة المحمدية وكتاب الوحي انه اذا جاءنا رجل بكتاب في الطب والعلاج ورأينا جميع المرضى الذين عملوا به برؤا من أمراضهم ألا يكون هذا أقوى دليل على صدقه وصحة مافيه من العلم؟ بلى وان هذا الكتاب لا يحتاج الى من يشهد له بأنه كتاب طب مفيد ، لان الشهادة الفعلية القطعية أصدق من الشهادات القولية وحدها ، ويمكن أن يعرفها كل أحد ، ولهذا كان السبب الأكبر لاسلام أكثر الاعاجم في الصدر الاول ماشاهدوه بأعينهم وعرفوه باختبارهم من سوء حالة العرب المشركين الجاهلين قبله وانقلابهم بهدايته وسنة النبي الامي الذي جاء به أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون فتحول كثير من اليهود والروم وأكثر النصارى من السوريين والكلدان والاشوريين والارمن والقبط والبربر عن نصرانيتهم الى الاسلام وكذا المجوس والهنود الذين كانوا قرناء الروم في حضارتهم وعلومهم

وأما العرب فكان سبب إيمانهم إعجازه اللغوي والعلمي وتأثيره وسلطان هدايته على العقول والقلوب ، والاقتناع بانها حق وخير لهم ، مع حالة من جاءهم به إذ كان الى سن الاربعين غير معروف يبلاغة ولا علم وغير ممتاز على أهل وطنه وبيته إلا بالصدق والامانة ومكارم الاخلاق .

ان معترض مجلة الشرق يسمي هذا وذاك من الادلة الباطنية التي ليس لها إلا القيمة السلبية أي انه ينفي كون هذا الكتاب قد خرج من عقل بشري . وقد غفل عن كون المؤمن بالله وبوحيه يضطر أن يؤمن بما كان كذلك أنه من الله تعالى إذ لاموجود يقدر عليه غيره . فقامت عليه الحجة

(للرد بقية)

العبرة بسيرة الملك فيصل

(رحمه الله تعالى)

— ٨ —

يوم الجمعة ٢٥ شعبان ١٤ مايو سنة ١٩٣٠

قابلت ضحوة هـذا اليوم الملك فيصلا بداره فأخبرني أن والده وافق على مااقترحناه من تنفيذ مشروع (الوحدة العربية) والاتفاق مع ابن سعود مع المحافظة على شرفه وفوضه بذلك (قال) فيمكننا الآن ارسال وفد علني الى ابن سعود وقد عقد والدي اتفاقا مع امام اليمن

ثم قال : انه جاءه من مصر ان الادريسي (أي السيد محمداً الكبير) أرسل إلي كتابا مع رجل [illegible] يصل الى هنا حاملا له في هذين اليومين (قال) وانه يمكن عقد اجتماع في هذا الاسبوع

وأخبرته بمسألة استقدام ضيفنا وصاحبه (ضيفنا الذي أطلقناه بمصر على صاحب حجازي لنا يشتغل بالسياسة ، وكنت استأذنت الملك بطلبه الى الشام فأذن

ثم تكلمنا في مسألة العشائر وهي تكاد تتم ان شاء الله تعالى اهـ

هذا ماكتبته في مذكرتي في ذلك اليوم بعد فراق الملك فيصل وأعني بكلمتي الاخيرة انني لم أترك مسألة السعي لتنظيم عشائر سورية وقبائلها بعد سقوط وزارة الركابي اشالا أني رأيت الملك فيصلا لا يزال يظهر لي عنايته بها ووعديو متذ بتنفيذها

وأقول الآن ان كل ماذكرت هنا من الاخبار لم يصح منه شيء ، وأما الآراء فكان الملك فيصل ثابتاً على وجوب سعينا الى (الوحدة العربية) والتوسل بما يعتقد من اتصال المودة بيني وبين ابن السعود على ادخاله فيها وأنها لا تتم بدونه ، وكان موافقا لي على أن والده هو العقبة الاولى في هذه السبيل فاذا ذللت و اقتحمت كانت عقبة ابن سعود أهون منها

(مكاتبة أمراء العرب في مؤتمر الوحدة العربية)

يوم الاحد ٥ رمضان ٢٣ مايو

أرسلت قبل نصف الليلة البارحة الى الملك فيصل الكتاب الذي طلبه مني لارساله الى ابن سعود ، وقابلته ضحوة اليوم بداره الخاصة وتكلمنا في المسألة العربية وإمكان جمع مؤتمر من زعماء العرب في المدينة المنورة أو أي مكان يختارونه وقال ان والده يوافق على ذلك .

وتكلمنا في مسألة سورية أيضا ومسألة سفره إلى أورية وعدم ارتياح الناس إلى هذا السفر وسببه. ومما قلته (وهو فصل الخطاب) ان المسألة يمكن اختصارها بكلمة واحدة وهي هل يكون حكم البلاد لنا ونحن نستخدم من الاوربيين من نرى المصلحة في استخدامه ؟ أم يكون لهم ويستخدموننا آلات لادارته ؟ اهـ

وأقول الآن مما تبيناه عنه أن رجع برأيه بعد اعلان الاستقلال عما كان قبله من وجوب اتفاقه مع فرنسة على طريقة الحكم في سورية ، وان الوسيلة لذلك أن تفوض اليه البلاد عقد هذا الاتفاق ، وقد كان يطلب هذا التفويض من الزعماء وكان من أركانهم الاستاذ الشيخ محمد كامل قصاب رئيس الجمعية الوطنية وهو معارض شديد وكان الدكتور شهبندر من أقوى أنصاره ثم اطمأن الملك لموافقته له بعد ان صار وزيراً ، وقد صار في البلاد مؤتمر عام لهذا الشأن ، وكان يذاكرني في هذه المسألة منذ اجتمعنا في بيروت عند عودته من أوربة كما تقدم بعده إياي من أصحاب الرأي (الناضج كما كان يقول) ومن أصحاب المكانة في حزب الاستقلال العربي ، وقد صار لي صفة أخرى وهي رياسة المؤتمر الرسمي ، ولم يتغير رأيي في المسألة كما انه لم يتغير رأيه والواقع الآن في سورية يؤيد رأيي . وسأعود إلى هذه المسألة

يوم الجمعة ١٠ رمضان ٢٨ مايو

قابلت الملك فيصلا بداره صباح اليوم وكنت أرسلت اليه البارحة صورة كتابي الاول الى ابن سعود ليرسله مع الثاني الذي أعطيته إياه في ٥ رمضان (كذا في الأصل الذي في المذكرة) فأخبرني أنه أمر إحسان بك أن يكلمني صورة كتاب له (أي لابن سعود من قبله هو) و كتاب آخر يرسل الى سائر أمراء العرب في الكويت والمحمرة وغيرهما ، وانه كان كتب كلمات مختصرة في ذلك وتعب فلم يتمها والمراد منها بيان فكرته الاساسية التي أبني عليها

ثم لقيت إحسان بك و أخذت منه الورقة (التي كتبها الملك) وكتبت الصورتين ليلا وأعطيته إياهما وحفظت ورقة الملك عندي وهي في لفظها ومعناها...

يوم الاحد ١٢ رمضان ٣٠ مايو

أفطرت اليوم والوزراء وأعضاء المؤتمر مع الملك فيصل فأجلست في المائدة عن يمينه والشريف جميل عن يساره ورئيس الوزراء أمامه وسائر الوزراء عن اليمين واليسار في صدر المكان [illegible] لأعضاء المؤتمر مائدتان طويلتان على الجانبين. وقد أسرّ إليّ الملك في أثناء الطعام بأن الوفد سافر بالكتب وهو مؤلف من العصيمي وآخرين أحدهما سليمان الدخيل اه

ثم كتبت بعد ماتقدم في يوم آخر قريب « ثم تبين لي أن هذا غير صحيح »؟

﴿ قضية وطنية لها علاقة بترجمة الملك ﴾

يوم الاحد ٢٦ رمضان ١٣ يونيو

ظهر الخلاف في النصف الثاني من هذا الشهر بين أعضاء حزب الاستقلال وجمعيته وقد اجتمع في دار الدكتور أحمد قدري زهاء أربعين عضواً من أعضاء الجمعية ودارت المذاكرة تحت رياستي في اصلاحها فاتفق الجميع على وجوب إلغاء امتياز الاعضاء المؤسسين وعلى طلب جميع من في العاصمة منهم ومن غيرهم لتقرير هذا في انتخاب مجلس إدارة (أو تأسيس) من الهيئة العامة عدده ثلاثون أو أكثر وهو ينتخب من أفراده لجنة مركزية أو تنفيذية من سبعة أعضاء، وسيكون هذا الاجتماع في الليلة القابلة

(الخلاف في حزب الاستقلال العربي وجمعيته)

يوم الاثنين ٢٧ رمضان ١٤ يونيو

اجتمع البارحة الاخوان في دار الدكتور قدري اجتماعهم الثاني تحت رياستي

وبعد طول المذاكرة استقر الرأي على كتابة بلاغ يمضيه جميع من حضر وغيرهم ممن على رأيهم يقدم الى اللجنة المركزية يطالبونها فيه بدعوة جميع الاعضاء في ٧ شوال للمذاكرة في الاصلاح المطلوب الذي اقترح من قبل وينذرونها أنها اذا لم تفعل فان الموقعين يفعلون ذلك بحق الاكثرية ، وقد فعلوا . وكتب نسختان من القرار ليقدم أحدهما ويحفظ الآخر

يوم الثلاثاء ٢٨ رمضان ١٥ يونية

قرر أعضاء المؤتمر اليوم بأن تعطل الجلسات من نهار غد لاجل عيد الفطر الى نهاية الاسبوع [illegible] حزيران (يونيو) وبعد الجلسة العامة جمعت [illegible] لعدم اجتماعه من مدة طويلة كنت أدعو الاعضاء فلا تحصل الاكثرية

وعند العصر تقريبا قابلت الملك بداره بمناسبة عزمه على السفر قبل الغروب الى حلب فتكلمنا في مسألة سفره فأخبرني بانه يريد إرسال قوة عسكرية الى حدود سورية الشمالية بمناسبة الهدنة بين الترك والفرنسيس في كليكية وبان في هذا شيئا من الخلاف بينه وبين الوزراء

الوفد الوطني لأوربة والملك فيصل

ثم تكلمنا في مسألة الوفد (الذي يسافر إلى أوربة) فقال بمناسبة وجوب إرسال وفد وطني غير وفد الحكومة (وهو ما اقترحه بعض الاخوان والزعماء) ان هذا مما يجب على الاحزاب والجمعيات ، ولكن كل شيء يطلب منه ولا سيما المال وهو لا يستطيع ذلك وقد ضيق عليه في ميزانية البلاط !! (قال) كل شيء

يطلب من فيصل « في الامة رجال كثير غير فيصل » ليست عبارة عن رجل واحد

قلت نعم لها رجال كثيرون ولكن ليس لها إلا رأس واحد

قال : صحيح ، أنا أساعد من يذهب من قبل الوطن ولكن ليس علي « النفقة كلها » ولم أكن أسمع منه مثل هذه الشكوى بل كان يظهر لي انه يأخذ على عاتقه مساعدة العمل للوحدة العربية والجامعة الاسلامية أيضاً !!

وأحمد الله اني أبعد الناس عن مساعدته في شيء ما ، حتى إنه عرض علي تقديم شيء من فرش الدار ، بل قال ان فرش الدار كله عليه ، فالححت في دفع ذلك عني اه

هذا ما كتبته بعد فراقه ووداعه في ذلك اليوم ، وأفسره هنا بأنني كنت أشعر منه بانه يريد إكرامي بمساعدة مالية وبرى مني أمارات الاباء اذا عرض بذلك . ولما استقرت قدمي في [illegible] انه لا يليق بمقامك البقاء في الفندق فيجب ان تأخذ داراً تقيم فيها علينا الدار وعلينا فرشها . فاستأجرت داراً واسعة واستحضرت فرشها التام من طرابلس فلم يدر بذلك إلا و الدار مفروشة

يوم الخميس ٣٠ رمضان ١٧ يونيو

كلمني الدكتور عبد الرحمن شهبندر في وزارة الخارجية بشأن الوفد الذي يذهب إلى أوربة وقال انه يجب أن نتفق على تحديد المطالب التي يلتزمها . وبعد بحث وجيز اتفقنا على الاجتماع ليلة السبت في دار جميل بك مردم مستشار الخارجية ويطلب الشيخ كامل قصاب للحضور معنا

وأكد لي الوزير ما كنت سمعته عن الامير زيد من عدم قبوله رياسة هذا الوفد . قلت للوزير لماذا ؟ قال لأنه لا يريد حمل هذه المسؤلية ، ووزير الخارجية يريد أخذ تفويض من الزعماء ورؤساء الاحزاب ولا يتكلم باسم الحكومة فقط اه